MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
ⴰⵢⵏⵉⵣ ⵏ ⵜⵓⵙⵎⵔⵙ ⵜⵉⵣⵡ ⵜⵙⵏⵉⵜ ⴷ ⵜⵙⵏⵙⵓⵜ
ⵜⴰⵡⴰⵍⵜ ⵏ ⵓⵎⵙⵡⴰ ⴰⴽ ⵜⵃⵜⵜⵓⵙ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵣⵡ
ⵜⴰⵣⵣⴰⵍⵜ ⵏ ⵜⵓⴳⵏⵉⵏⵉ ⵙ ⵜⵙⵏⵙⵓⵜ

UNIVERSITE MOLOUD MAMMERI TIZI OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de langue et litérature

جامعة مولود معمري تيزي وزو
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة العربية و آدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي.

الفرع: دراسات نقدية

التخصص: نقد و مناهج/نقد حديث و معاصر

العنـــوان

خطاب النقد الثقافي عند عبد الله الغذامي

إعداد الطالبتين:
- عبد الحميد أمينة
- برحو ليندة

إشراف الأستاذة:
أ/زويش نبيلة

لجنة المناقشة:

-أ.د/نورة بعيو.....أستاذة التعليم العالي جامعة تيزي وزو رئيسا
-أ/نبيلة زويش..... أستاذة محاضرة جامعة تيزي وزو مشرفا ومقررا
-أ.د/لعداوي نسيمة..... أستاذ التعليم العالي جامعة تيزي وزو عضوا ممتحنا

السنة الجامعية 2020/2019

شكر و عرفان

الحمد لله العلي العظيم الذي منّا علينا بنعمة الصبر و المثابرة لنُتَّم هذا العمل و ما كان ليَتِّم إلا بفضله و توفيقه نشكره شكرا يليق بجلال وجهه و عظيم سلطانه.

نتقدم بالشكر الجزيل و الخالص إلى الأستاذة الفاضلة " **نبيلـة زويـش** " التي أشرفت على البحث و صححته و لم تبخل علينا بتوجيهاتها و نصائحها.

كما نتقدم بالشكر إلى كل من قام بتوجيهنا و تزويدنا بالمعلومات التي مكنتنا من إتمام هذا البحث من أساتذة و زملاء و إلى كل من دعّمنا و لو بكلمة طيّبة.

و الله ولي التوفيق

إهـــــداء

أحمد الله عزّ و جلّ على منّه و عونه لإتمام هذا البحث

إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله، إلى من كان يدفعني قدما نحو الأمام لنيل المبتغى، إلى الإنسان الذي امتلك الإنسانية بكل قوة، إلى الذي سهر على تعليمي بتضحيات جسام مترجمة في تقديسه للعلم، إلى مدرستي الأولى في الحياة، **أبـــي** الغالي أطال الله في عمره.

إلى من أرضعتني الحب و الحنان، و التي صبِرت على كل شيء، إلى رمز الحب و بلسم الشفاء، إلى القلب الناصع بالبياض، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي، **أمـــــي** العزيزة الغالية.

إلى من هم أقرب من روحي، إلى من شاركني حضن الأم و منهم أستمد عزتي و إصراري، إلى من أرى التفاؤل بعينهم و السعادة في ضحكتهم، إلى **إخوتـــي و أخواتـــي** الذين تقاسموا معي عبء الحياة.

تمتاز المعرفة النقدية بطبيعتها الدينامكية، فما تلبث تستقر حتى تثار من حولها قضايا تصنع بؤرة للجدل، تسهم بالضرورة في إنارة جوانب مظلمة من العملية النقدية، وكذلك كان شأن النقد الثقافي الذي خاض في كثير من المسلّمات النقدية بحثا عن السبيل الأنجح لمقاربة النصوص الإبداعية للإلمام بكل العناصر التى تسهم في تشكيلها.

و قد برر النقد الثقافي في الساحة النقدية الغربية في التسعينات من القرن العشرين، بعد أن احتكّ العديد من النقاد بالحقول الثقافية و العلوم الإنسانية كالتاريخ و الفلسفة و الفكر و السياسة و الأنتروبولوجيا و غيرها من الحقول المعرفية، فاصطبغت بصبغة مقاربات هؤلاء النقاد ثقافة ذات منظور شامل و متكامل يتجاوز الاهتمام بالنصوص الأدبية الجمالية إلى الاهتمام بها لإنتاج ثقافي بشكل عام، مع التركيز على النصوص و الخطابات التي عملت السلطة المؤسساتية على تهميشها و إقصائها ، قصد تمرير و ترسيخ أنساقها الثقافية المضمرة التي اختص الناقد الثقافي بالكشف عنها.

و كان الناقد السعودي **عبد الله الغذامي** من الأوائل الذين تبنّوا النقد الثقافي تنظيرا و تطبيقا و مصطلحا، داعيا إلى إحلال النقد الثقافي لإدراك محل النقد الأدبي نتيجة لعقم تعامله مع النصوص و الخطابات و إخفاقه في القبض على معانيها و دلالاتها، لقد دعا إلى تحرير النقد من السلطة المؤسساتية و أكّد على التعامل مع النصوص الأدبية على أنها حاملة للأنساق الثقافية المضمرة التي تتخفى خلف سحر الجماليات الأدبية.

و يعد النقد الثقافي واحد من بين التوجهات المتميزة في الفكر النقدي، و في الثقافة العربية بوصفه مشروعاً نقدياً و فكرياً، تتجلى فيه شعرية الخطاب النقدي الذي يسعى هيمنت للتأسيس لفكر نقدي أصيل، انطلاقا من خلفيات تاريخية، و لغوية، و قاعدة معرفية زاخرة لمستجدات المشهد النقدي.

حاول النقد الثقافي الإفادة منها جميع المعطيات النقدية السابقة مستثمرا بعض المقولات في قراءة النص الأدبي، و بهذا أحدثت انجازاته نقلة نوعية في مسار الحركة النقدية العربية الراهنة من خلال دراساته الحديثة المتنوعة و المعمقة للظاهرة الأدبية، و انخراط في أفق النقد المعرفي الذي تلتقي فيه مختلف الحقول المعرفية موظفا منجزات علم النفس و العلوم البحتة عموما.

و قد كان إشعاع هذا التوجيه النقدي من أبرز الأسباب التي جعلتنا نختار هذا الموضوع.

كما تأرجحت أسباب اختيارنا لهذا الموضوع بين أسباب موضوعية و أخرى ذاتية، تمثلت الموضوعية منها في:

- ✓ حداثة مشروع النقد الثقافي في الساحة النقديةو ابرز شخصية عبد الله الغذامي كصاحب مشروع نقدي عربي.
- ✓ في فضولنا و حبنا معرفة الناتج النقدي الجديد على يد علم من أعلام النقاد و المفكرين العرب.

و على هذا الأساس يسعى هذا البحث–للكشف– عن الأنساق الثقافية العربية التي تشكل ضمنها المسار النقدي لعبد الله الغذامي المتشعرنة و ما يمكن أن ننسبه للذات الشاعرة من عيوب ظللنا في غفلة عنها حتى صارت حداثتنا حداثة رجعية بما أنها حداثة توسلت بالنموذج الشعري، الذي هو نسقي معيب.

قصد الوقوف على معالم التجربة النقدية الثقافية و تطورها حاولنا من خلال بحثنا تقديم إجابات عن بعض التساؤلات التي أسست لإشكالية بحثنا النقدي و التي نوجزها في النقاط الآتية:

- ما هو المشروع النقدي الذي قدمه عبد الله الغذامي؟ و ما هي مرجعياته؟
- و هل استطاع الغذامي من خلال مشروعه النقدي الكشف عن المضمرات النسقية للنصوص؟

ينطوي بحثنا في مجال نقد النقد و عليه اتبعنا طريقة الوصف و التحليل الذي ارتكز أساسا على محاولة تقديم النقد الثقافي بصورة واضحة مشفوعة بتعقيبات و مقارنات ضرورية منها لإدراج آرائنا و موقفنا النقدي.

و قد قسمنا البحث إلى أجزاء مفصلة بدءًا بمقدمة و تمهيد للتعريف بالموضوع، ثم انتقلنا إلى أول فصل و جعلنا عنوانه "من النقد الأدبي إلى النقد الثقافي"، عرضنا فيه النقد الأدبي و النقد الثقافي و النظريات التي تدخل في حقل الدراسات الثقافية و خصائص النقد الثقافي و جمالياته.

ثم انتقلنا إلى الفصل الثاني حيث تطرقنا فيه لمرجعيات المشروع النقدي عند عبد الله الغذامي و الوسائل الإجرائية التي اعتمدها في مشروعه.

و استعنّا في ذلك بأعماله التي اعتمدناها كمصادر لبحثنا: (النقد الثقافي/قراءة في الأنساق الثقافية العربية) و بذكر عناوين أعماله الأخرى؛ (النقد الثقافي/تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية) أرثر إيزابرجر، وفاء إبراهيم؛ كتابه الذي يحمل عنوان: النقد الثقافي من النّص الأدبي إلى الخطاب لسحر خليل.و اتخذناه مدونة بحثنا.

أما فيما يخص الخاتمة و لخصنا فيها أهم النتائج التي تكشف عن طبيعة هذا النقد و خصوصيات مشرع الغذامي.

كما أننا عانينا في جمع هذه المادة لسبب قلة النقاد الذين صبوا اهتماماتهم حول هذا النقد، إضافة إلى ندرة الكتب التي تعالج هذا الموضوع، و نسأل ربنا الذي يسر لنا أمرنا ليحلل عقد هذه المذكرة لتكون ذا نفع لمن أراد الاستفادة منها.

و في الأخير، نحمد الله عزّ و جلّ الذي وفقنا لإتمام هذا البحث العلمي و لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة "**نبيلة زويش**" التي خصتنا بوقتها و خبرتها و توجيهاتها السديدة و الشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة التي ستتحمل عناء القراءة و التصويب و التقييم.

و الله و لي التوفيق

ظهر النّقد الثقافي في الساحة الغربية غير مكتمل المعالم على المستوى المعرفي و المنهجي، في بداية التسعينات من القرن العشرين و ذلك بعد العديد من الممارسات التي شكلت ملامح توجيه نقدي جديد.

و نتيجة التطور العلمي الذي شهده العالم، و الذي مس مختلف التخصصات و العلوم و الحقول المعرفية، ظهر النّقد الثقافي بعد تضافر العديد من الجهود، التي كشفت عن عقم تعامل المناهج النقدية الحديثة مع النصوص، يسبب الإغراق في التمسك بالإنساق الصارمة(لنص النقد الشكلاني كالبنيوية، و الأسلوبية)، أدى هذا العزل التام للنص عن كل ما هو خارج عنه، إلى طمس العديد من الحقائق التي ينطوي عليها و تم بذلك تكريس فكرة أحادية المعنى.

جاء النقد الثقافي لتحرير النصوص من قيودها، و الدعوة إلى تعددية المعنى من خلال إحاطته بمختلف السياقات الخارجية التي من شأنها أن تضيء دلالات النصوص و الخطابات، و حتى الظواهر فما يميزه هو« تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب و أنظمة الإفصاح النصوصي » [1]

و هي مهمة تستدعي الانفتاح على تخصصات و علوم عديدة تجعل النقد الثقافي نشاطا فكريا واسعا بمقدوره« أن يشمل نظرية الأدب و الجمال و النقد و أيضا التفكير الفلسفي و تحليل الوسائط و النقد الثقافي الشعبي، و بمقدوره أيضا أن يفسر(نظريات و مجالات علم العلامات،و نظرية التحليل النفسي، و النظرية الماركسية و النظرية الاجتماعية

[1]– عبد الله الغذامي، النقد الثقافي في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 2005، ص32.

و الأنتروبولوجيا*..) ودراسات الاتصال، و بحث في وسائل الإعلام و الوسائل الأخرى المتنوعة التي تميز المجتمع و الثقافة المعاصرة (و حتى غير المعاصرة) » [1]

1-قراءة في مقولات النقد الثقافي:

من خلال المعطيات السابقة الذكر و المفاهيم التي أردنا من خلالها تحديد مفهوم النقد الثقافي و التي نوجزها في النقاط الآتية:

- تجاوز التصنيف المؤسساتي للنقد بوصفه عملا جماليا، و الانفتاح على ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة، بوصفه خطابا أو ظاهرة ثقافية.
- يفيد من مناهج التحليل المعرفية مثل تأويل النصوص و دراسة الخلفية التاريخية لها، إلى جانب الاستعانة بالموقف الثقافي النقدي.
- التركيز بشكل جوهري على أنظمة الخطاب و أنظمة الإفصاح النصوصي، مستعينا بما أنجزته ما بعد البنيوية الربط بمجال الأدب و الفن.[2]

يبدو من خلال هذه الخصائص اعتماد النقد الثقافي في معاينته للنص على تجاوز جماليات النص و الخروج إلى السياقات الخارجية للنص و دراسة التفاعل بين النص و العوامل الخارجية و التي أثرّت اتجاهه و تأثر بها، و من هنا كان على الناقد الثقافي الإلمام بجميع مكونات النظام الخطابي و الانتقال من نقد النصوص إلى نقد المستهلك و المستهلك الثقافي.

* الأنتروبولوجية Anthropology علم يدرس الإنسان من جميع جوانبه الطبيعية و السيكولوجية و الاجتماعية.

[1]- آرثر إيزابرجر، النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر وفاء إبراهيم، رمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003، ص31.

[2]- محمد عبد الله الغذامي: النقد الثقافي(قراءة في الأنساق الثقافية العربية)ص32

2-وظيفة النّقد الثّقافي:

يتناول النقد الثقافي النص الأدبي« كجزء من سياق تاريخي يتفاعل من مكونات الثقافة الأخرى من مؤسسات و معتقدات » [1] .

فيحدد المناخ السيميولوجي الذي يشكل ذهنيا المحددات الحقيقية و الفاعلة لأنساق الإبداع و كيفيات التداول و جماليات التلقي و منه يتجه مشروع النقد الثقافي إلى« كشف جيل الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعته البلاغي الجمالي » [2]، فلا يمكننا فصل النقد الثقافي عن الأدبي لأنهما يحتويان بعضهما و النقد الثقافي جاء في دعوى صريحة للارتقاء بآليات النقد الأدبي.

كما أن وظيفة النقد الثقافي أعمق من مجرد كشف الجماليات إذ يعنى النقد الثقافي« بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته و أنماطه و صيغه، ما هو غير رسمي و غير مؤسساتي و ما هو كذلك، سواء من حيث دور كل منهما في حساب المستهلك الثقافي و لذا فهو معنى يكشف لا الجمالي[3] » .

و يصبو إليه النقد الثقافي في الوطن العربي إلى تحقيق مهمة. الوقوف ضد هيمنة النموذج الوافد، لا ضد النموذج في ذاته، و أن يعطي للنموذج العربي الصحيح الأصيل احترامه و أن يتيح له الفرصة ليؤدي وظيفته الاجتماعية و الأدبية و لا نقصد هنا الوظيفة المغلوطة التي جلبتها أزمة الركود و الجمود العربي كما لا يقصد الوظائف الحزينة التي جلبتها أزمة تفريغ الذاكرة العربية من هويتها و ملئها بالثقافة المضادة التي تسعى جاهدة

[1]- ميجان الرويلي و سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص305.

[2]- حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارب، ط1، منشورات الاختلاف، 2007.

[3]- محمد عبد المطلب: النقد الأدبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سلسلة الشباب، ط1، 2005، ص08.

لتحميل الماضي على كل الغور الذي أصاب الواقع العربي الحاضر من تسلط و قهر و إرهاب ظنّا أن هذا هو السّبيل لدخول العولمة.[1]

تنسجم الرؤية التي يتسم بها النقد الثقافي مع تلك التي تصبوا إليها العولمة، من خلال صهر مظاهر الاختلاف الثقافية فيما بين الحضارات الإنسانية باتجاه خلق ثقافة كونية شاملة.

3-مصطلحات النّقد الثّقافي:

سبق لنا و ذكرنا خصائص النقد الثقافي، و كانت في شكل عناصر و جمل و كانت بعنوان قراءة في مقولات النقد الثقافي، و لكن حقيقة خصائصه تتمثل في مصطلحاته و لهذا أردنا أن نفرد لها عنصراً مستقلا، فالنقد الثقافي له العديد من السّمات و لكن هذه السّمات تنحصر في مصطلحاته و نذكر منها:

أ-التّكامل:

« فالنقد الثقافي لا يرفض الأشكال الأخرى من النقد و إنما هو يرفض هيمنتها منفردة أو هيمنة نوع منها منفردا، إذ يعني ذلك قصورا في الكشف عن الكثير من العلامات الدّالة في سياق النصوص» .[2] يقوم النقد هنا باختصار الممارسات النقدية، و يعمل على بلورتها و تهيئتها لاستقبال معطيات الممارسة الاجتماعية والسياسية و غيرها، معتمدا على ما قدمته هذه الممارسات من جهد معرفي على صعيد النص المتلقي و تكمن نقطة تعارض النقد الثقافي مع النقد الأدبي في كون الأول يرفض هيمنة الثاني منفردا فهذا يجعله قاصرا عند اكتشاف العديد من الجوانب الدّالة في النص و ليس القصد هو إلغاء المنجز النقدي الأدبي،

[1]- محمد عبد المطلب: النقد الأدبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سلسلة الشباب، ط1، 2005، ص 10.

[2]- مصطفى الضبع، أسئلة النقد الثقافي، مؤتمر أدباء مصرفي الأقاليم المنيا، 23،26 ديسمبر 2003، ص10.

و إنما الهدف هو تحويل الأداة النّقدية من أداة لقراءة الجمالي الخالص و تبريره و تسويقه، بغضّ النظر عن عيوبه النسقية إلى أداة في نقد الخطاب و كشف أنساقه.[1]

ب-التوسع:

« يوسع النقد الثقافي النشاط الإنساني بحيث يصبح المجال منفتحا أمام أشكال متعددة من النشاط للدّخول في نطاق البحث عبر مفهوم النقد الثقافي، و هو ما يعد إضافة للفن و محاولة للتخلص من الأفكار التي ترّسخت مع مرور الوقت » [2] و يستقرئ لبس هذه الظاهرة عند ربط بداية حركة النقد الثقافي و النقد الاجتماعي عند الجيل الأول من مثقفي نيويورك في أواخر الثلاثينات، يقول ليتش:« العمل الأدبي عند مثقفي نيويورك ظاهرة مفتوحة للتحليل من وجهات نظر عديدة و دعت نظريتهم إلى إتباع مداخل كثيرة للنصوص الأدبية لأن الثقافة ديناميكية (نشطة و حية) و متعددة الأوجه يدخل فيها الاقتصاد و التّنظيم الاجتماعي و القيم الأخلاقية و المعنوية و المعتقدات الدينية و الممارسات النقدية و الاجتماعية و السّياسية، و أنظمة التقييم والاهتمامات الفكرية و التقاليد الفنية » [3]

ج-الشّمول:

يوسع من منظور النقد ذاته ليجعله شاملا لكل مناحي الحياة مما يكسب النقد نفسه قيمة أخرى جديدة، فإذا كان النقد الأدبي ضرورة لتطوير الأدب و الكشف عن جوانبه النظرية الأدبية من خلال النص الموصوف بالأدبية أو الكشف عن قوانين جمالية من شأنها أن تساعد على تفسير النص، فإن النشاط الإنساني كله بحاجة للنقد بمعناه المطروح في المشروع الثقافي.

---

[1]- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي(قراءة في الأنساق الثقافية)، ص08.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص10.

[3]- ينظر، المرجع السابق، ص104.

توطئة:

تعد الأنساق الثقافية جزءا مهما من مشروع النقد الثقافي الذي يتبنى قراءة مغايرة للنصوص الأدبية تختلف عن النقد الأدبي، المعتمد على جماليات النص اللغوية و البلاغية مع مراعاة الجوانب المحيطة بالنص؛ وفقا لبعض المناهج النقدية الحديثة، إلا أن النقد الثقافي يقدم قراءة جديدة تتصل بالأنساق المؤلفة للنص، و المهيمنة على مؤلفه و قارئه، بالاستعانة بمفهوم الأنساق الثقافية بوصفها مرجعية لا شعورية توجه المؤلف و النص للوجهة التي تتبناها من خلال وجودها الفاعل و المشتمل عبر تراكمات معرفية و ثقافية و اجتماعية، تكونت عبر تاريخ طويل أصبح لها وجود خفي، و هي تستثمر جماليات النص الأدبي لتختبئ داخلها إذ يصعب اكتشافها إلا من خلال القراءة النقدية الفاحصة و العميقة، التي يجب أن تتسلح بمعارف ثقافية وقراءات تاريخية محيطة بالمؤلف و النص الشعري معا[1]

أحالنا الكشف عن الأنساق الثقافية في الشعر السياسي أحالنا إلى مفهوم النسق المضمر الذي عده **عبد الله الغذامي** واحدا من أهم الركائز في مشروع النقد الثقافي، لأنه يؤدي دورا خفيا في تسيير النصوص الشعرية من خلال تشربه بها و تحايله عليها و اختبائه في أغوارها مستفيدا من جماليات هذه النصوص البلاغية و اللغوية، إذ ظهر ذلك جليا بعد تحليل النصوص الشعرية المتصلة بالوطن، بوصفها من أهم الموضوعات الشعرية لتلك الحقبة الزمنية (1900-1950م) إذ أن الأحداث السياسية اتسمت بالمواجهات المستمرة للاحتلالات المتعاقبة و الحكومات المنبثقة عنها و الدائرة في فلكها، لذا تناولنا في شعر الوطن صور الدفاع عنه و التضحية و الموت في سبيله، وفقا لأنساق جمالية تعلي من قيمة الوطن كوجود حي و نابض في نفوس الشعراء،

[1]- ينظر، مجلة الآداب، العدد 131(كانون الأول)، 1441/2019هـ،ص1

ترفعه إلى درجة عليا و تمنحه قيمة إنسانية عالية[1]

1- مفهوم النقد الأدبي:

مصطلح النقد الأدبي جديد في الساحة العربية، لم يعرف في البلاد العربية إلا في العصر الحديث بعد الاتصال بالغرب، و هو ترجمة حرفية للمصطلح الغربي" Literary Criticism" الذي يعني مجموعة الأساليب المتبعة (مع اختلافها باختلاف النقاد) لفحص الآثار الأدبية و المؤلفين القدامى و المحدثين بقصد كشف الغامض، و تفسير النص الأدبي و الإدلاء بحكم عليه، في ضوء مبادئ أو مناهج بحث يختص بها ناقد من النقاد[2]

و منذ القرن السادس عشر في إنجلترا و إيطاليا، و السابع عشر في فرنسا و ألمانيا، صارت مستقلة و معترفا بها، و يعد النقد الأدبي أساسها النظري، لذلك دخلت فكرة النظرية الأدبية، بما لها من قواعد و فلسفة فنون و علم جمال، في حيز مفهوم النقد الأدبي، و ما يزال الجدل قائما حول ماهية النقد الأدبي.

و يبدو أن المدة الزمنية التي ظهر فيها المصطلح الجديد تعود إلى مطلع القرن العشرين، فلا شك أن هناك فروقا جوهرية بين المصطلح القديم و المصطلح الحديث تعود إلى طبيعة كل منهما، فالنقد الحديث أوسع دائرة ، و أكثر شمولا لعناصر الأدب ، و أكثر ارتكازا على الثقافات المتعددة، و المعارف المتنوعة، فهو نقد اتجاهات و فلسفات،" ينتهي آخر الأمر إلى مدارس نقدية، و يفرض البحث في فلسفة الأدب ، و أهدافه و مصادره و وظائفه في الحياة ، و في خصائصه الجمالية و مبادئه الفنية و أصالته المتميزة. بينما النقد القديم، و في معظم أحواله، نقد جزئيات، يعني بالبيت و البيتين، و لا يعني بالقصيدة كاملة يعقل التعليل و التحليل لما يصدر من أحكام، و غالبا ما تكون أحكامه متأثرة بالمواقف الدينية أو المذهبية أو القبلية.

[1] ينظر، مجلة الآداب، العدد 131(كانون الأول)، 1441/2019هـ، ص02.

[2] – ينظر،المرجع نفسه، ص57.

و برزت في النقد، في العصر الحديث، مفاهيم جديدة و متنوعة، انطلق أصحابها من مواقف محددة لدور الأدب في الحياة، و أصبح للنقد مدارس و اتجاهات، و تأثر النقاد بالنقد الأوروبي الحديث، الذي يرى أن النقد فن تقويم الأعمال الفنية و الأدبية، وتحليلها تحليلا قائما على أساس علمي.[1]

استطاع النقد الحديث أن يكشف عن آفاق جديدة بتجارب الشعراء و أعمالهم الأدبية كما استطاع أن يبصرنا بالكثير من القيم الفنية الأصلية في الأدب العربي التي أغفلها النقد القديم[2]

2-حقل الدراسات الثقافية:

يدخل في حقل الدراسات الثقافية مجموعة من النظريات أهمها:

النظرية الاجتماعية و النظرية السياسية و التاريخ و الفلسفة و نظرية الأدب ، النظرية النسوية و نظرية وسائل الإعلام و دراسات الفيلم و الفيديو، و دراسات التواصل و الاقتصاد السياسي و الترجمة و دراسات المتاحف و نقد الفن إلى دراسة الظاهرة الثقافية في مختلف المجتمعات؛ لذلك فإن هذه الدراسات تبحث عن كيفية خلق المعنى الثقافي إذن معنى مركب من جماع إفرازات تلك الأوساط أو الحقول و تلك الممارسات، و يسهم ذلك المعنى المركب في إعطاء الثقافة لونها السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الديني أو الفني. و قد يتحول إلى فعل ساكن أو فعل متحرك و قد يتخذ أشكالا معتدلة و متزنة أو أشكالا متطرفة[3].ركزت الدراسات الثقافية على مختلف الخطابات الثقافية التي تنتجها المجموعات البشرية المختلفة و المتنوعة، و على مستوى المثاقفة بين تلك الثقافات، و على أنواع من الثقافات الخاصة و العامة و الهامشية و بالخصوص الهيمنة الثقافية.

---

[1]- ينظر، المرجع نفسه ، ص58.

[2]- ينظر، المرجع نفسه ، ص59

[3]- نادية هناوية سعدون، تمظهرات النقد الثقافي و تمفصلاته، قراءة تطبيقية، ص31، تموز للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، 2015م.

و قد ظهرت النظريات المؤثرة للهيمنة الثقافية و فعلها من حركات الدراسات الثقافية مثلما هو الشأن بالنسبة لمعظم نظريات التواصل التي تحاول تفسير القوى الثقافية الموجودة وراء النظام العالمي الجديد.

3-الأساس النظري للدراسات الثقافية:

قامت الدراسات الثقافية لمواجهة مفهوم الهيمنة، و إبراز مختلف الأشكال التي تمارسها السياسات المتحكمة. و بالخصوص بعد التحولات السياسية والاقتصادية التي عرفتها مرحلة الثمانينات من القرن العشرين. و ذلك خلال ظهور الليبرالية الجديدة في بريطانيا (التاتشرية) و المحافظين الجدد في أمريكا(الريغانية) مع ثمانينيات القرن العشرين، فتم الهجوم على الدراسات الثقافية من طرف القوى السياسية الأكاديمية و ذلك نظرا للعلاقة الوطيدة بين عدد كبير من الباحثين من الدراسات الثقافية الماركسية، و اليسار السياسي، و ما عرفه مفهوم الثقافة من تطور على يدمجموعة من العلماء و الدارسين أمثال **غرامشي** و **باختين** و اليسار الفرنسي و الأوربي.

و كان من أبرز مقاصد هذه الدراسات مواجهة الهيمنة التي تجلت في العقود الأخيرة و المستترة وراء ما كشف عنه من قبل فوكو في الخطاب، و حلله ديريد في تفكيكيته و ما قام به ادوارد سعيد في كتابه الاستشراق(1978) و غيرهم من الذين كشفوا عن أنواع السيطرة الكامنة في الخطاب واللغة و الصورة و التواصل المعتمد في السياسة و الاقتصاد.

ظهرت الدراسات الثقافية لتنصف الثقافة التي ينتجها الإنسان و المجموعة البشرية و خاصة تلك المجموعة التي تم تهميشها و السيطرة عليها و تبخيس ثقافتها و قمع إنتاجاتها المختلفة من أجل استمرار الهيمنة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية. و لذلك تم اعتبار الثقافة من المداخل الأساسية إلى تركيز السيطرة بأنواعها، و كان هذا التصور و ليد ما عرفته الدراسات الاقتصادية، و السياسية، و الاجتماعية خلال القرن العشرين و بخاصة الدراسات

الماركسية و الفلسفة التي تم تفكيكها والابتعاد فيها من التصور الراديكالي و تطعيمها تصورات ثقافية جديدة[1]

4-مفهوم النقد الثقافي:

لم يتبلور مصطلح النقد الثقافي واقعيا إلا مع الناقد الأمريكي **(فنست.ب.لتش)** الذي أصدر سنة 1992 كتابا قيّما في هذا الشأن و هو أول من أطلق مصطلح النقد الثقافي على نظريات الأدب لما بعد الحداثة، و اهتم بدراسة الخطابات في ضوء التاريخ ، و الاجتماع و السياسة و المؤسساتية و مناهج النقد الأدبي، و تستند رؤية **(ليتش)** في التعامل مع النصوص الأدبية و الخطابات بأنواعها من خلال أنساق ثقافية تستكشف ما هو غير مؤسساتي و غير جمالي، و رؤيته قد تعني بشعرية الخطابات بغية تحصيل الأنساق الثقافية و استكشاف و من أجل تقويم أنظمتها التواصلية مضمونا و تأثيرا مرجعيا[2].

كما مهدت قراءات **رولان بارت** و **فوكو** و **دريدا** لمساحة واسعة من الانشغالات الثقافية و على ميادين متعددة و متشبعة أكسبت النقد الثقافي فيما بعد تجمعهم بصفة الامتداد و الاتساع، لأن نقاد النقد الثقافي لا ينقدون بلا وجهة نظر، فثمة علاقة باتجاهات أخرى مثل النقد السنوي و الماركسي و الاتجاه الفرويدي أو اليونجي أو الشذوذ أو الاتجاه الفوضوي أو الرديكالي كما يرتبط بعلم العلامات النقد الاجتماعي الانتروبولوجي أو يرتبط بمزيج من كل ما سبق عندما ننظر إلى الهوية الأكاديمية للأفراد الذين يمارسون النقد الثقافي، فمنهم من يأتي من أقسام الآداب و منهم من الاجتماع و منهم من الفلسفة و غير ذلك من تخصصات، و هنا يلّح علينا

[1]- حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، ص70، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

[2]- سمير خليل، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، دار الجواهري، بغداد شارع المتنبي، ص11.

السؤال: **ماهو النقد الثقافي؟ و ما علاقته بالدراسات الثقافية؟ و أين تقع الثقافة منه بوصفها مدخلاً للنقد الثقافي؟**[1]

يجيب **(آرثر إيزابرجر)** بان النقد الثقافي نشاط و ليس مجالا معرفيا خاصا بذاته... بمعنى أن النقاد يطبقون المفاهيم و النظريات الخاصة به على التراكيب التي تحتويها الفنون الراقية و الثقافة الشعبية و الحياة اليومية و على حشد من الموضوعات المرتبطة بها و لكونه نشاط اتسعت مساحات عمله و انشغاله على أكثر من اتجاه و مذهب إذ لا حدود للنقد الثقافي وحتى النص الأدبي لدى نقاده ماهو إلا حادثة ثقافية، و يضيف **(آرثر إيزابرجر):** بأن النقد الثقافي هو مهمة متداخلة متجاوزة مترابطة متعددة، كما أن نقاده يأتون من مجالات مختلفة ويستخدمون مفاهيم متنوعة.

كما أن النقد الثقافي يمكن أن يشمل نظرية الأدب و الجمال و النقد الأدبي و التفكير الفلسفي و الثقافة الشعبية بمقدوره أيضا أن يتعامل مع نظريات علم العلامات و التحليل النفسي و النظرية الماركسية و الاجتماعية و الأنتروبولوجية...إلخ[2] بل و يضم بحث وسائل الإعلام والوسائل الأخرى التي تميز المجتمع و الثقافة المعاصرة و حتى غير المعاصرة. و كان للدراسات الثقافية دور كبير في تحريك عجلة النقد الثقافي لكون تلك الدراسات نتناول موضوعات تتعلق بالممارسة الثقافية و علاقتها بالسلطة و تروم من وراء ذلك إلى اختيار مدى تأثير العلاقات على شكل الممارسات الثقافية كما أنها ليست مجرد دراسة للثقافة ، فالهدف الرئيسي لها فهم الثقافة بجميع أشكالها المركبة و المعقدة.[3]و تحليل السياق الاجتماعي و السياسي في إطار ما هو جلي في حد ذاته، و هي ليست طارئة على ساحة الفكر و المعرفة و من خصائصها أنها

[1]– ينظر، المرجع السابق ، ص12.

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص13

[3]– ينظر، المرجع نفسه، ص 14

ليست تخصصية فضلا عن طغيان الطابع التنظيري في جلّ دراساتها و انفتاحها على حقول الثقافة المحلية و العالمية على حد السواء.

و ينتقد (ليتش) المؤسسة الثقافية التي كان لها تأثير سلبي على طريقة التلقي و الاستجابة لدى القرّاء، فيتفق مع نظرية استجابة القارئ، و تأثر بـ(فوكو) و (ليونار)اللذين انتقدا مؤسسات المجتمع الاستهلاكي من خلال ربط الخطاب بالمؤسسة.

5-خصائص النقد الثقافي:

تقوم مقولات النقد الثقافي على الكشف عن الكثير من السياق الواسع للنقد الثقافي بوصفه مشروعا أو طرحا فكريا جديدا على مجتمعنا العربي منها:[1]

- إبعاد الانتقائية المتعالية التي تفصل بين الإنتاج النخبوي و الإنتاج الشعبي: فيقوم بدراسة ما هو جمالي و غير جمالي.
- يعتمد النقد الثقافي على النقد الأدبي، و لا يقوم بدونه، فالنقد الثقافي مكمل للنقد الأدبي، لذا أضاف **د.الغذامي** مستحدثات جديدة على النقد الأدبي تطور منه لتجعل منه نقدا ثقافيا فعالا، و لم يبتر النقد الأدبي و ذلك عكس ما دعا إليه من موت النقد الأدبي ليحل مكانه النقد الثقافي.
- الدخول في عمق النص بدلا من النظرة السطحية.
- كشف القيم الفضلى و الحقيقية للنص.
- تذوق النص بوصفه قيمة ثقافية، لا مجرد قيمة جمالية، و ذلك من خلال الكشف عن الأنساق المضمرة في الخطاب الثقافي للنص و قائله، و أهم المقومات التي أثرت في شخصية القائل.

[1]- مصطفى الضبع، ورقة بحثية في أسئلة النقد الثقافي، ص8-9-10.

- ربط العلوم الإنسانية بالأدب(علم الاجتماع، علم النفس، علم التاريخ) مما يساهم في إثراء النص و الساحة الثقافية[1]
- يرتبط النقد الثقافي بالعمل السياسي، فهو يربط عمل المثقف بالسلطة و السلطة بالمثقف، و يدرس العلاقة المترتبة على ذلك.
- كشف حقائق متعلقة بالنصوص المهمشة من خلال إلقاء الضوء عليها حيث يهتم هذا النوع من النقد بنصوص المعارضة، و الأدب الشعبي، و الأدب النسوي و نحو ذلك[2].

النقد الثقافي هو الذي يدرس النص لا من الناحية الجمالية بل من حيث علاقته و الايديولوجيات و المؤثرات التاريخية و السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية و يقوم بالكشف عنها تحليلها بعد عملية التحليل النصية.

أو يمكن القول إنه هو الذي يدرس الخطاب بما أنه خطاب بغض النظر عن كونه شعرا أو كلاما أو غير ذلك فيقوم بتحليله لكشف أنظمته العقلية و غير العقلية بتعقيداتها وتعارضها[3]

6-جماليات التحليل الثقافي:

تعود أهمية جماليات التحليل الثقافي إلى ما تقدمه من قراءة مختلفة للنص الأدبي، إذ تسلط الضوء على ما يكتنزه النص من مدلولات ثقافية يمكن أن تشكل بدورها بيئة كاشفة لمعطيات الثقافة المولدة داخله بوصفه وثيقة تاريخية معرفية و ثقافية ذات طابع جمالي؛ فهي لا تعني بالجانب الجمالي البلاغي، و إنما جماليات الثقافة الكاشفة لبيئة النص و أنساقه المضمرة المشكلة له، و يمكن القول إنها (دراسة الجانب الفني أو الجمالي في الثقافة و الشعر أو تحليل

[1]- ينظر، المرجع السابق، ص11-12.

[2]- ينظر، المرجع السابق، ص13.

[3]- سهيل الحبيب، خطاب النقد الثقافي في الفكر العربي المعاصر، دار الطليعة بيروت، ط1، 2008م، ص12.

الثقافة في الشعر أو دراسة الثقافة من زاوية شعرية، و التي تولي الأنساق و وظيفتها المؤسسة للمعاني و الرموز بالدلالات)[1].

يعد النص الأدبي وفقا للنقد الثقافي حدث ثقافي نسقي تستأهل قراءة أدبية فاحصة للسياقات التاريخية و الأنساق الثقافية بوصفها تمثيلات ماكرة ، و مع هذا أصبح النص الشعري فضلا عن أنه علامة جمالية يحمل علامة و قيمة ثقافية ، فالقصيدة تكوين و مشروع ثقافي وفكري و ارتباط حضاري قبل أن تكون عملا و منجزا جماليا و القصيدة خلاصة مشحونة بالتلاحم بين الشعر و الثقافة[2].

7-الفرق بين النقد الأدبي و النقد الثقافي:

عرف القدماء و المحدثين النقد الأدبي، فالعرب أهل شعر و بلاغة و الشعر ديوانهم و البلاغة صناعتهم. و قد وضعوا المعلقات السبع على أستار الكعبة ، و دخل الوحي إلى وعيهم ببلاغته و أسلوب بيانه المعجز، فتأثر به كنص أعجزهم الإتيان بمثله. لا يُفهم الوحي إلا بالشعر، كما قال عمر :« عليكم بديوان جاهليتكم فإن فيه تفسير كتابكم » و صاغ **عبد القاهر الجرجاني** نظرية النظم في "أسرار البلاغة" و طبقها في "دلائل الإعجاز".

و ظهر النقد الحديث في مدرسة **أمين الخولي**(خلف الله، شكري عياد، نصر حامد، أبو زيد) استمرارا للنقد القديم، فظهرت عدة دراسات عن التصوير الفني في القرآن الكريم، و الفن القصصي في القرآن، و مشاهد القيامة في القرآن[3].و ظهر نوع جديد في النقد الأدبي استمرارا للوافد الغربي، في النقد الأدبي الاجتماعي (عبد المحسن طه بدر) و النقد البنيوي(جابر عصفور)) و النقد الأسلوبي القائم على علم اللسانيات الحديث (نصر حامد أبو زيد).

---

[1]- يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 2004، ص 15.

[2]- عبد السلام بلعجال، انزياح النسق الثقافي في الشعر أبي تمام قراءة ثقافية، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، ص4.

[3]- موقع إلكتروني، www.alquds.co.uk تاريخ الدخول 10 سبتمبر 2020 على الساعة 12:23.

و ازدهر النقد الأدبي المعاصر في شتى أرجاء الوطن العربي باجتماع النقدين، القديم و الجديد، الموروث و الوافد، و توالت الأجيال و تفاعل الرافدان في العديد من مجلات النقد الأدبي المتخصصة. و أصبحت مدرسة النقد الأدبي الحديث (طه حسين، العقاد، هيكل) حصيلة تفاعل هذين الرافدين قراءة"الوسيلة الأدبية" للمرصفي قراءة جديدة، ورد الاعتبار لـ "الشعر الجاهلي"؛ و ساهم النقد الأدبي في النهضة العربية المعاصرة، بالجرأة على القديم ، و استخدام أدوات الجديد ، إذ لا فرق بين النقاد و المبدعين و المفكرين والمصلحين، فقد كانوا جميعا من رواد النهضة[1]

و نشأ جيل رابع يحول النقد الأدبي إلى نقد ثقافي: فالنص الأدبي جزء من النص الثقافي، و الأدب أحد جوانب الثقافة، و الجمال أحد عناصر الفكر، و تم التحول من الصورة إلى القضية و من البلاغة إلى الاجتماع و من النخبة إلى الجمهور، و من الجامعة إلى الصحافة و من العلم إلى الإعلام ، الأدب صناعة الأدباء، و الثقافة همّ المثقفين. يقوم الأدب على تصور للعالم ينتج عن الثقافة، بل كلاهما مظهران للنقد الاجتماعي، فالأدب تصور للمجتمع و النقد الأدبي الاجتماعي هو الكاشف لهذه العلاقة بين النص الأدبي و واقعه المجتمعي. علم اجتماع الأدب مقدمة لعلم اجتماع الثقافة، و التحليل الاجتماعي يتضمن التحليل السياسي، إذ الظاهرة الاجتماعية ظاهرة سياسية، و الظاهرة السياسية ظاهرة اجتماعية... لكن الثقافة أكثر تشابكا من الأدب، و هي تتجاوز البعد الجمالي إلى البعد الفكري، و تضع الجزء في الكل و الفرع في الأصل[2].

و النقد الثقافي أعم من النقد السياسي، و هذا الأخير هو السجال بين القوى السياسية من أجل الوصول إلى السلطة السياسية في الحزب أو في المجتمع؛ في حين أن النقد الثقافي هو تحليل التصورات الثقافية للعالم أي الثقافة السياسية التي تقوم عليها الممارسة السياسية. إنه نقد

[1]– موقع إلكتروني، www.alttihad.ae تاريخ الدخول 10 سبتمبر 2020 على الساعة 15:38.

[2]– محمد كريم الكواز، البلاغة و النقد المصطلح و النشأة و التجديد، الانتشار العربي بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص58-59.

التصورات الهرمية للعالم التي تمثل أساس توزيع الناس بين الأعلى و الأدنى، أي أساس المجتمع البطريركي و نقد التصور الرأسي للعالم، و هو أساس المجتمع الرأسمالي، ممارسة لصالح التصور الأفقي لغرس مفهوم التقدم.

و يدخل النقد الثقافي في نقد أعّم هو النقد الحضاري. و في اللغات الأجنبية يستعمل لفظ Cultural للنقدين معاً[1].

لن يختلف اليوم اثنان في أن النقد العربي الحديث باتجاهاته و مدارسه المختلفة مازال يعيش على منجزات النقد العربي، و يواجه نتيجة لذلك إشكالية أساسية تكمن في البحث عن هوية و تحديد مسار خاص به و مناسبا لطبيعة النص العربي و الثقافة العربية بشكل عام و من اللافت أن النقاد العرب الذين تأهلوا في الغرب و درسوا مناهج النقد الحديثة في الجامعات الغربية هم –في كثير من الأحيان– الذين تنبهوا إلى غِنا تراثنا النقدي القديم و دعوا إلى العودة إلى هذا التراث و استلهام منجزاته و تطويرها[2].

و يعود ظهور أولى ممارسات النقد الثقافي في أوروبا إلى القرن الثامن عشر و لم تكتسب تلك المحاولات المبكرة سمات مميزة و محددة في المستويين المعرفي و المنهجي إلا بداية التسعينيات من القرن العشرين و ذلك حيث دعا الباحث الأمريكي "**فنسنت ليتش**" إلى "**نقد ثقافي ما بعد بنيوي**" تكون مهمته الأساسية تمكين النقد المعاصر من الخروج من نفق الشكلانية و النقد الشكلاني الذي حصر الممارسات النقدية داخل إطار الأدب كما تفهمه المؤسسات الأكاديمية "الرسمية" و بالتالي تمكين النقاد من تناول مختلف أوجه الثقافة و لاسيما تلك التي يهملها عادة النقد الأدبي[3].أما في اللغة العربية، فيرى "**سعيد البازعي** و **ميجان الرويلي**" في كتابهما

---

[1]– ينظر، المرجع نفسه، ص60.

[2]– ينظر، المرجع السابق، ص61.

[3]– موقع الكتروني، www.marebpress.net تاريخ الدخول 30 أكتوبر 2020 الساعة 18:30.

"**دليل الناقد الأدبي**"؛ **ص305**« أن النقد الثقافي، في دلالته العامة، يمكن أن يكون مرادفا للنقد الحضاري » كما مارسه د. طه حسين و العقاد و أدونيس ومحمد عابد الجابري، و عبد الله العروي.

لهذا فهما يعرفان النقد الثقافي على أنه نشاط فكري يتخذ من الثقافة شموليتها موضوعا لبحثه و تفكيره و يعبر عن مواقف إزاء تطوراتها و سماتها. و إذا ما تجاوزنا تقديم **سعيد البازعي** و **ميجان الرويلي** للنقد الثقافي فإننا نجد أن النقد العربي السعودي **عبد الله الغذامي** هو أول من حاول تبني مفهوم النقد الثقافي في معناه الحديث الذي حدده **فنسنت ليتش** و استخدام أدواته لاستكشاف عدد ن الظواهر الثقافية العربية التي لم تستطع مختلف مدارس النقد الأدبي السابقة التصدي لها[1].

و يُعّد **عبد الله الغذامي** واحد من أهم النقاد العرب المعاصرين الذين يملكون مشروعا نقديا ثقافيا حداثيا متكاملا. و يعمل حاليا أستاذ النظرية و النقد في جامعة **الملك سعود في الرياض**. و قد نشر عددا لابأس به من الكتب منها:(الخطيئة و التفكير1985)؛ و (تشريح النص1987)، و(الموقف من الحداثة 1987)، و (الكتابة ضد الكتابة 1991)، و(ثقافة الأسئلة: مقالات في النقد و النظرية 1992)، و(ثقافة الوهم: مقاربات من المرأة و اللغة و الجسد 1998)، و (تأنيث القصيدة و القارئ المختلف 1999)، و (حكاية الحداثة في المملكة السعودية 2003)، و (النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية2000)[2]

في هذا الكتاب الأخير يعرف **د.عبد الله الغذامي** النقد الثقافي على النحو الآتي:« النقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام، و من ثم فهو أحد علوم اللغة و حقول الألسنية معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته و أنماطه و صيغه ما هو

[1]– سعد النازعي و ميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2000، ص225.

[2]– عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي للنشر، المملكة المغربية، الدار البيضاء، ط2، 1999–2001، ص219.

غير رسمي و غير مؤسساتي و ما هو كذلك سواء بسواء. و من حيث دور كل منها في حساب المستهلك الثقافي الجمعي » [1].

يبقى هم النقد الثقافي كشف المخبئ من تحت أقنعة البلاغي/الجمالي، فكما أن لدينا نظريات في الجماليات فإن المطلوب إيجاد نظريات في القبحيات لا بمعنى عن جماليات القبح؛ مما هو إعادة صياغة و إعادة تكريس للمعهود البلاغي في تدشين الجمالي و تعزيزه، و إنما المقصود بنظرية القبحيات هو كشف حركة الأنساق و فعلها المضاد للوعي و الحس النقدي.[2]

و إذا كان الدكتور الغذامي يرى أن مجال النقد الثقافي هو النص، فهو في الواقع يعمد إلى تفجير مفهوم النص نفسه الذي يتمدد ليصبح بحجم ثقافة ما بأكملها. و من ثم فإن هذا النص، الذي لم يعد نصا أدبيا جماليا فحسب، لكنه أيضا حادثة ثقافية[3]، لا يقرأ لذاته و لا لجماليته، و إنما يعامل بوصفه حامل النسق أو أنساق مضمرة يصعب رؤِيتها بواسطة القراءة السطحية لأنها تتخفى خلف سحر الظاهر الجمالي. و بالتالي فمهمة القارئ/الناقد تكمن أساسا في الوقوف على أنساق مضمرة مرتبطة بدلالات "مجازية كلية" و ليس على نصوص ذات دلالات صريحة.

لا يرفض الغذامي الدلالة المتداولة لكلمة "النسق أو ما كان على نظام واحد أو البنية" لكنه يؤكد أن هذه الكلمة تغدو في مشروعه النقدي مفهوما مركزيا يكتسب قيما دلالية و سمات اصطلاحية خاصة. و النسق عنده لا يتجدد عبر وجوده المجرد بل من خلال وظيفته التي لا تتحقق إلا في وضع محدد و مقيد و ذلك حين يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر و مناقض للأول و ناسخ له في نص واحد أو في ما هو في حكم النص.

---

[1]– عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 83–84.

[2]– عبد الله الغذامي، الخطيئة و التفكير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1998، ص07.

[3]– ينظر، المصدر السابق، ص08.

يسعى النقد الثقافي-كما ينظر غليه الغذامي- إلى كشف ما تحث الأقنعة و وسائل خاصة تتثر بأغطية الجمال و البلاغة. و هذه الأنساق المضمرة التي يسعى النقد الثقافي لفضحها، هي أساس الاستهلاك الثقافي الذي يحدد مدى جماهرية نص ما و استمراريته[1]

و ينظر الدكتور عبد الله الغذامي في مشروعه النقدي هذا إلى الثقافة العربية كنص ضخم متنوع التكوينات و الوجوه. و يرى أن السؤال الذي ينبغي على القارئ /الناقد الإجابة عنه هو: كيف يمكن داخل نص/الثقافة العربية أن نقرأ بعض الأنساق التي تشكلت عبر القرون و تكون السمات المميزة لهذه الثقافة؟

كما يؤكد الغذامي أن على الناقد أن يميز بين السمات الايجابية و السمات السلبية التي ينبغي التركيز عليها لأن هذا يقودنا إلى التعرف على عيوبنا الحضارية و العراقيل التي اعترضت مسيرة النهضة العربية. و قد اختار الغذامي نسق" الفحل" الذي يؤكد أنه في الثقافة العربية قد انتقل من الشعر إلى مختلف نواحي الحياة. فصار لدينا، إلى جانب الشاعر الفحل: الفحل الاجتماعي و الفحل الثقافي و الفحل الإعلامي و الفحل السياسي(...)[2]

و لكي يستطيع الغذامي أن يصل إلى غايته تلك أي قراءة الأنساق المضمرة في الثقافة العربية لجأ إلى منهج القراءة التأويلية الذي استخدمه في كتاباته السابقة. واضطر كذلك إلى إضافة عنصر سابع للمخطط الذي وضعه **رومان جاكبسون** لعملية الاتصال؛ و هو عنصر النسق؛ و بهذه الإضافة تحقق اللغة سبع وظائف بدلا من ست، و هي: ذاتية و إخبارية ومرجعية و معجمية و تنبيهية و شاعرية و نسقية. و تعكس عنصر السياق الذي يرتبط بفترة اللحظة الزمنية التي تتم فيها عملية الاتصال، يأخذ عنصر النسق أبعادا تاريخية إذ أنه لا يتجسد إلا من خلال استمرارية في ثقافة ما، و قد مكنت هذه الإضافة د.عبد الله الغذامي من توسيع

[1]- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق العربية، ص79.

[2]- ينظر، المرجع السابق، ص80.

أدوات النقد الأدبي البلاغية و البنيوية و اجتماعية، التي لم يستغن عنها كلياً[1]، فبالنسبة للمجاز مثلا، نلاحظ أنه قد تحول من القيمة البلاغية التي –في النقد الأدبي– تدور حول الاستعمال المفرد للفظة أو الجملة الواحدة إلى القيمة الثقافية التي يحتويها النص. و بهذا التحول يغدو المجاز ازدواجا دلاليا، و يقرأ على مستوى النص بأكمله الذي يحمل بعدين دلاليين، أحدهما حاضر و ماثل في عناصره اللغوية الظاهرة، و ثانيهما مضمر. و هذا البعد الدلالي المضمر هو الفاعل و المحرك الخفي الذي يتحكم في سلوكنا العقلي و التذوقي، و أشكال تلقينا لهذه الظاهرة الثقافية أو تلك. و يطلق الغذامي على هذا النمط من المجاز تسمية (المجاز الكلي) و هو –في رأينا– يتداخل مع ما يسميه بالتورية الثقافية[2].

أجاب **عبد الله الغذامي** مثلما فعل الباحث **فنيسنت ليتش** عن السؤال الذي مفاده:

–هل في النقد الأدبي ما يعيبه أو ينقصه كي نبحث له عن بديل؟ وهل يستطيع النقد الثقافي أن يكون بديلا عن النقد الأدبي؟ أو أن النقد الثقافي ليس إلا تسمية حديثة لوظيفة قديمة؟[3]. بالنسبة لـ **فنيسنت ليتش** فهو يؤكد، عند تناوله لطبيعة الروابط بين النقد

الثقافي و النقد الأدبي أن هذين النقدين مختلفان على الرغم من وجود بعض نقاط الالتقاء و الاهتمامات المشتركة بينهما.

و بعكس بعض المهتمين الآخرين بالنقد الثقافي الذين يرون أن على النقد الثقافي أن يركز على تلك الظواهر التي يهملها النقد الأدبي مثل مظاهر الثقافة الشعبية أو الجماهرية، ويبتعد عن الميادين الأدبية "المتعالية" كنظرية الأدب. يرفض **فنسنت ليتش** الفصل بين النقد

[1]– عبد السلام المسدي، الأسلوب و الأسلوبية، الدار العربية للكتاب، طرابلس/ تونس، 19982.

[2]– عبد الله الغذامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المرجع نفسه ، ص67–71.

[3]– ليتش فنسنت، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات، ترجمة محمد يحيى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2000، ص60.

الأدبي و النقد الثقافي، و يرى أن اختصاصي الأدب يمكن أن يمارسوا النقد الثقافي دون أن يتخلوا عن اهتماماتهم الأدبية[1].

يقول الدكتور عبد الله الغذامي في محاضرة ألقاها في مطلع سنة 2002 في مؤسسة عبد الحميد شومان:« نحن لا نملك إلا أن ننسب النقد الأدبي إلى الأدب، و بالمقابل فإننا سننسب النقد الثقافي إلى الثقافة » [2]

كما يلاحظ الغذامي أن النقد الأدبي الذي في الثقافة العربية قد ترعرع في أحضان البلاغة و أصبح فناً في البلاغة يعني في المقام الأول بجمالية النصوص و الوقوف على مكونات أدبيتها، أو لكشف عوائقها. كما إتهم الغذامي النقد الأدبي قديما و حديثا أنه لم يتعامل إلا مع النصوص التي تعترف المؤسسة الثقافية الرسمية بأدبيتها و حمالها و استبعد النصوص والظواهر الثقافية الأخرى التي لا تحضى باستحسان تلك المؤسسة التي وضعت معايير صارمة لتقنين ما هو جمالي و ما هو غير جمالي. وقد أدى ذلك إلى إهمال ما هو مستحسن جماهيريا مثل كتاب **ألف ليلة و ليلة**. كما يرى أن تركيز النقد الأدبي على النصوص الأدبية "الرسمية" قد جعل منه قلعة أكاديمية معزولة و غير فاعلة بين عامة الناس. لهذا يرى أن النقد الأدبي الذي لم يلتفت إلا إلى الجماليات قد فشل في الكشف عن القبح الذي يستتر تحت الغطاء البلاغي[3].

و مهمة النقد الثقافي الذي يسعى إلى رفع ستار البلاغة عن العمل الأدبي هي تبصيرنا بخطر " العيوب النسقية المختبئة تحت عباءة الجمالي ".

و حين سُئِل عما إذا كان النقد الثقافي سيصبح بديلا عن النقد الأدبي أجاب الغذامي: « إنني أحس أننا بحاجة إلى النقد الثقافي أكثر من النقد الأدبي، و لكن انطلاقا من النقد الأدبي

[1]– المرجع السابق، ص61.

[2]– عبد الرحمن بن سماعيل، الغذامي، الناقد قراءات في مشروع الغذامي النقدي، ص35.

[3]– عبد الله الغذامي، قراءة في الأنساق الثقافية و العربية، المرجع نفسه ، ص82.

لأن فعالية النقد الأدبي جربت و صار لها حضور في مشهدنا الثقافي و الأدبي و قد توصلنا إلى أن الكثير من أدوات النقد الأدبي صالحة للعمل في مجال النقد الثقافي بل أستطيع أن أؤكد بأننا و منذ عصر النهضة العربية و حتى يومنا الراهن ما من شيء جرب و اختبر ثقافيا مثل النقد الأدبي، و لهذا أدعو إلى العمل على فعالية النقد الثقافي انطلاقا من النقد الأدبي و عبر أدواته التي حازت على ثقتنا بعدما أخضعناها للمعايير المعروفة عالميا و لاشك بأنه بات للنقد الأدبي في بلادنا العربية من الحضور و السمعة ما يؤكد على أهميته في حياتنا الثقافية والأدبية، و أن المشكلات أو الملاحظات التي تسجل على النقد الأدبي لا تتوجه نحو الأدوات أوالضرورات، و إنما تتوجه إلى الغايات و المقاصد و طرائق العمل في مجالات النقد و التي تؤدي أحيانا أو أغلب الأحيان إلى ما نسميه بالتحيز و المحاباة أو الاقتصار على أمر من الأمور كالجانب التنظيري و حسب » [1].

و على الرغم من ذلك فمازال كثير من الباحثين، مثل عبد العزيز حمودة، يرون في النقد الثقافي مجرد افتتان فئة من الأساتذة العرب بمنهج نقدي غربي لم يثبت فعاليته حتى داخل الثقافات الغربية التي أفرزته و منهم من لا يرى في النقد الثقافي إلا إحدى مظاهر العولمة[2].

8-النقد الأدبي و النقد الثقافي و إمكان التعايش:

تعد النظريات و المناهج النقدية أدوات لسبر أغوار الظاهرة الأدبية فليس غاية في حد ذاتها، فالخطاب الأدبي كان البادئ في الإظهار ثم تلته الممارسات النقدية، و لا يمكن أن تدعي نظرية من النظريات شمولها للظاهرة الأدبية إذ الأدب ظاهرة إنسانية، و معلوم أن فهم الإنسان و فكره هي عملية جد معقدة تستلزم الإقرار بإشكالية المنتج الإنساني و بالتالي إشكالية الأدب ، و يعتبر النقد الثقافي مغايرا تماما لجل المدارس النقدية التي ظهرت على الساحة الأدبية، من حيث

[1]- عبد الله الغذامي، ورقة بحثية لندوة مهرجان حول مقولات النقد الثقافي.

[2]- ينظر، المرجع السابق ص83.

المعايير النقدية و الأداء الذي يجمع آليات المدارس النقدية المختلفة، سواء منها الداخل أدبية أو التي تنتمي لمختلف العلوم الإنسانية الأخرى، و استعاراته لأدواتها النقدية في نقد الظاهرة الأدبية، إذ تجد « أن عمل الناقد يتحدد أساسا في تحري الموضوعية و الروح العلمية في التعامل مع الظاهرة الأدبية لأنه يتعامل مع الذات المنتجة وسط بيئة سياسية و اجتماعية وتاريخية » [1]

و بهذا أصبح النقد الثقافي نقدا تكامليا يجمع بين مختلف النظريات النقدية، يخلص من خلالها في الأخير إلى تطبيق منهجه الخاص لاستكشاف الأنساق الثقافية بعد استخراج الظواهر الأدبية المعروفة مسبقا، بفضل النظريات المختلفة للنقد.

و عليه بات على الدارس النقدي أن يتحرى و يبحث وسط "النقد الثقافي " عن رصيد علمي و معرفي يحقق التكامل المعرفي و النقدي، و ذلك وفق آليات و أدوات إجرائية تحقق انسجاما نقديا و فنيا و جماليا مع النص الأدبي المراد استنطاقه و تحديد القراءة النقدية المناسبة له، دون إحداث قطيعة نظرية مع ما سبق من المناهج، مع الاستفادة الكاملة من المنهج الثقافي بما هو دراسات ثقافية و نقد ثقافي و هذا لن يتحقق إلا من خلال الممارسات و التجارب النقدية المتواصلة التي يكتسبها الناقد من خلال تمرسه على مختلف النصوص الأدبية الشعرية أو السردية، ليقارب النقد الثقافي: البنى و الذات و الآخر و الهوية و السياق و الإنتاج دون إغفال أو تقديم عنصر عن آخر.

و قد وجدنا أن النقد الثقافي كان من بين مجموع الاتجاهات التي تعرضت للنقد الشديد و المعارضة الشرسة، رغم أن العديد من الباحثين حاليا حولوا خوض غماره و إيجاد موضوع له في الساحة النقدية، رغبة منهم في الخلاص من أحادية الرؤية النقدية و تقديس المنهج التي اتسم

[1]– رضا عامر: المناهج النقدية المعاصرة و مشكلاتها (المنهج السيميائي نموذجا)، مجلة أقلام ثقافية، أرشيف القلم النقدي الالكتروني، ص109.

بها نقدنا العربي طيلة فترة زمنية طويلة من جهة، و عدم التمرس الجاد في تحديد الآليات الإجرائية للممارسة النقدية الجادة لهذا النقد الجديد من جهة أخرى[1].

إن اعتبار النقد الثقافي عودة لانطباعية و النقد الماركسي التقليدي، لهو ظلم عظيم في حق نظرية ثورية استطاعت أن تضع الأصبع على ما لم تفلح فيه النظريات السابقة، و هي و إن استفادت من المناهج النقدية السابقة و هي لم تستنسخها كما بدا في البعض، بل هي عودة جديدة للانتصار إلى النقد باختباره خادما للناس و ليس خادما للنص، و لاشك أن العمل الأدبي يسهم في تأسيس لغتها الواصفة؛ و تطوير صيغة نقدية ذات طابع خاص؛ و ذلك تبعا لما ينفرد به من أرضية واقعية فنية يجب اعتبارها عند النقد و الدراسة، لكن أيضا فإن أي عمل أدبي عربي تمتزج معطياته الأصلية و عناصره المتلاحمة في بوتقة واحدة، من لغة و أدب و تاريخ وفكر و سياسة و عقيدة و غيرها من المكونات الرئيسية التي يكمل بعضها بعضا، كما أن أحد أهم أركان القراءة المتميزة و الفاعلية و المنتجة المتمثل في مسألة اختيار المنهج النقدي المناسب لموضوع الدراسات الأدبية؛ و اعتماد رؤية القراءة النقدية المؤهلة لمحاورة و معالجة أعمال أدبية لها واقع و طبيعة معينة، و الأحق باعتبار هو الخطاب الأدبي بقيمه التعبيرية و الشعورية؛ لأنه أولا و أخيرا يعد مفصلا خارقا من مفاصل النسيج الثقافي و الفكري الإنساني، و ليس لي عنف الخطاب يستجيب لمنهج نقدسه و لا نروم غيره، و لا يستطيع الناقد اليوم الاستغناء عن المناهج النقدية الموجودة على الساحة النقدية، بل هو بحاجة ماسة إلى استحضارها جميعا عله يستشير بها أثناء التحليل، إذا من أراد ان يكون عمله جادا لا يجب أن يغفل أن الاختيار الأنسب هام ليكون عمله مؤطرا بنظرية واضحة المعالم، لا أن يلعب بالمصطلحات معه هنا و هناك، و ما هذا قصدنا بالتكامل، و إنما هو تكامل في التفكير الموسوعي و أجرأة على نمط نظري محدد

[1]– ينظر، المرجع السابق، ص110.

وواضح، ثم من المؤكد أن يظل أي عمل أدبي عربي مغتربا إذا ما تعمد الناقد الأخذ بممارسة نقدية تترجس نفسها و تلغي الأخريات، بل سيتم إلغاء هويته[1].

و طمس أسئلة الذات الكاتبة و المنتجة له عندما يعبر تباهي الباحث بالمفاهيم و الأدوات النقدية و تقديس المنهج حاجزا يحول بينه و بين الاهتمام بالعمل الإبداعي و الإنصات إلى الأصوات و الأصداء المترددة فيه، مما يجعله بعيدا كل البعد عن تقديره حق قدره، إذن فليس الأدب وثيقة ذات بعد واحد، يزج بها البعض مثلا معالم التاريخ أو الاجتماع، و يضعها البعض الآخر من الباحثين في دائرة الفن أو الفلسفة أو العقيدة و يضعها آخرون لوحة فنية لا تهتم إلا بالجمالية و البلاغية، بل إن الأدب حياة متشعبة و مستقاة من واقع الإنسان الإشكالي خاصة الإنسان المعاصر، إنه أدب يستجيب للدراسة النقدية، بشرط أن تنظر إليه على أنه نتاج أدبي ابن بيئة محددة، و ذو أبعاد متنوعة و مستويات مختلفة و خصائص مركبة لا يستغني بعضها عن بعض[2].

كما أنه من الخطأ دراسة العمل الأدبي في ضوء منهج نقدي واحد، إن القصد السليم هو أن لا يتم إخضاع أي خطاب أدبي اعتباطا و بالإكراه لسلطة الأداة النقدية، و إن لا نترك الخطاب الأدبي يهيمن على المنهجية النقدية التي سيعتمدها في ممارسته النقدية، و ذلك محاولة منه لإقامة حوار نقدي إبداعي بين العمل الأدبي و منهج الدراسة و التحليل، باعتبار أن العمل الأدبي كائن لغوي حي نامي متفجر له ظروف إنتاج و تلقي معينة و خصائص محددة، ثم إنه تجربة مفتوحة باستمرار من أجل القراءة و المطلوب هو استكشاف ما يزخر به من حياة داخلية و إبراز فاعليته النقدية، و أنه نص يقبل الحوار النقدي بلا عقد تعيق عملية التلاقح النقدي، بلاطا بوهات أو مقدمات أو ثوابت.[3]

---

[1]– ينظر، المرجع السابق ، ص 111

[2]– سعد الدين كليب، النقد التكاملي، مجلة الموقف الأدبي، إتحاد الكتاب العرب، ص 280، دمشق، سوريا، ط1، 1994م.

[3]ينظر : المرجع السابق،ص 280.

إن النص الأدبي من حيث هو نص إبداعي ذو بنية فنية محددة، لكن بنيته الثقافية معقدة، موضوعي في وجوده بالنسبة إلى الناقد، غير أن الناقد المتمرس في« موقفه من النص الإبداعي يكمن أن يكون ذا رأي موضوعي، مثلما يمكن أن يكون ذا رأي ذاتي » [1].

فإذا ما فرض الناقد ذوقه أو إيديولوجيته أو منهجه على ذلك النص، فإن موضوعية رأيه النقدي تبدو مشكوكا فيها أحيانا، و تنقصها الروح العلمية، أما إذا تعامل مع النص من منظور نهايته، فإن إمكانية اتصاف رأيه النقدي بالموضوعية تغدو كبيرة خاصة إذا تعاطى بشكل منطقي مع الظاهرة الأدبية و فسرها و حللها وفق رؤية نقدية تحترم كل القواعد المنهجية و المعنوية للمدرسة النقدية و النص المنقود، هذه النصّانية التي لا يمكن أن تكتشف حيثياتها دون نقد أدبي يدرس البنى اللغوية و دون نقد ثقافي يدرس ما وراء هذه البنى من أنساق متوارية وراءها[2].

تعد ظاهرة صراع الاتجاهات النقدية من المشاكل الكبرى التي تواجه النقد خاصة إذا كان الصراع غير أخلاقي، أي صراع لنسق الآخر بالوسائل المشروعة و غير المشروعة، و في هذا الصدد نرى أن هناك مشكلة كبرى تتمثل في عدم تحديد المنهج النقدي و المصطلح و الآليات الإجرائية المستعملة في عملية النقد. و من ثم في بناء نظرية نقدية عربية أصيلة يتفق عليها جميع النقاد المغاربة و المشارقة، و حالة الضعف التي نعيشها على عدد من الأصعدة تؤكد تعبية التجدد و الابتكار في الثقافة عامة و الأدب و النقد خاصة و المثقف الناقد القارئ المدقق هو من يصنع الفكر أما ما نراه على ساحة الأدب و النقد فهناك أشكال غير قليلة انتهت إلى الاستلاب الإرادي و الثقافي، و إلى بلبلة فكرية و سياسية و دينية و قومية، فما اخترع العرب مصطلحا ما أو منهجا أو لآليات نقدية إلا و ولجنا جحره مقبلين عليه بنهم، دون أن نكلف نفسنا عناء فهمه فهما لائقا به و بنا؛ و دون مراعاة لطبيعة أدبنا و خصوصية مجتمعاتنا، و نوظف بنهم المولع بثقافة الغالب على حد تعبير ابن خلدون، كل تلك المعايير و القواعد النقدية و أثناء

[1]– سعد الدين كليب،المرجع نفسه ، ص281.

[2]– ينظر، المرجع نفسه ، ص282.

ذلك نمارس تبعيتنا بشغف لننتقل من التقليد إلى تنصيب الذات مدافعة عن شيء ليس لها، بل أنه من العجب أن ترى أصحاب النظرية و المنهج قد تركوه لانفتاحهم و تجديدهم و لازلنا نحن ندافع عنه و نقدسه، إنها ثقافة الشيخ و المريد الصوفية، أو إنها ولاية الفقيه اللالصفوية، ثم ترانا من فرط إعجابنا بذواتنا المصطنعة نعيب على نقادنا القدامى تقصيرهم عما وصلت إليه حركة النقد الحديثة و قد حاولت حصر ظاهرة صراع اتجاهات النقد العربي في الآتي:[1]

تبقى ظاهرة صراع النظريات النقدية محمودة في النقد العربي خاصة أثناء دراسة الظاهرة الأدبية التي لا يجب أن تحصر بمنهج واحد، بل أن تقارب بعديد المدارس النقدية.

و يعتبر الصراع المنهجي الفلسفي بين المدارس النقدية، ظاهرة يجب أن يخوض فيها النقاد دون غيرهم ضمن مؤسسات البحث العلمي، للبحث عن تأسيس بنيان نظري قوي لا يتبع شطحات و نطحات المتهافتين من محترفي النقد و المكتسبين به.

يخلق التخبط في النسق الإيديولوجي و المنهجي دون تحيد آليات و محددات العمل داخل كل منهج أو نظرية، صراعا نقديا لا مبرر له، حيث نقاط الالتقاء قد تكون أكبر مما يعتمد و بالتالي إمكان التعايش و التكامل قد تفتح له فرصة أكبر من إمكان الصراع.

إن رفض الآخر و رفض الجديد و عدم فهمه يذكي نار الصراع بين المدارس النقدية والمتحمسين لها كما أن تدخل السلطات السياسية و الفاعلين في الإنتاج الأدبي و النقدي يخلق صراعا مؤلجا لا علاقة للمنهج النقدي به لا من قريب و لا من بعيد.

هذا و تبقى القراءة النقدية الواعية المبنية على التصور الصحيح لماهية النقد، سبيلا إجرائيا لسبر أغوار المناهج النقدية و الأدبية مجتمعة أو منفردة، و ولوج تقنياتها، فتبيح الشمولية و الانفتاح و الوسيطة و المقارنة، و بهذا أثرنا النقد الثقافي ليس باعتباره نظرية نقدية منفردة،

[1]– مصطفى خضر، النقد و الخطاب محاولة قراءة في مراجعة نقدية عربية معاصرة، ص78، دراسة من منشورات، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.

وإنما باعتباره نظرية جامعات للنظريات النقدية المختلفة، كما أثرناه باعتباره منخرطا في الدنيوية و هكذا تصورنا للنقد: دنيوي إلى أبعد الحدود، و قد يصبح النقد الثقافي كما رأيناه عند الغذامي و كما قد يتطور معه أو مع غيره و هو بالفعل يتطور بطريقة فنية تؤدي إلى تأسيس منهج نقدي عربي أصيل غير معزول عن المناهج النقدية و الأدبية العربية، و عن العلوم المساعدة الأخرى، إذ تعمل على« افتتاح فضاء للخطاب النقدي يتسع للحوار و بالحوار بين تيارات الخطاب العربي و اتجاهاته و ميوله » [1]

و يتضح هذا انفتاح المناهج النقدية التي يكمل بعضها الآخر خاصة في الفكر المنطقي و الرؤية التحليلية.

تكمن أهمية التكامل بين المناهج النقدية كونها الوسيلة الأقدر على تنظيم البحث النقدي من خلال إجراءات محددة؛ ووفق طرائف خاصة و لا يسع الناقد الاستغناء عن هذه المناهج، فهو في أمس الحاجة إلى« منهج أو أكثر ليستهدي به؛ إذا ما أراد أن يكون عمله جادا تؤطره نظرية واضحة » [2] و خاصة إذا كان العمل المقدم أكاديميا؛ فإنه لا يطفئ نهمه المعرفي منهج نقدي واحد، بل يلوذ بعدة مناهج ليؤسس ظاهرة التكامل المنهج و المعرفي بين آلية التنظير و التطبيق على النص الأدبي، و بهذا تتم معهم عملية التعددية المعرفية للباحث والمبدع على حد سواء، لتبني أسس التكامل بين حلقات النقد القديم و الحديث و المعاصر بكل أنواعه وأقسامه.

إن الإيمان بتكامل المناهج النقدية و إن كان يحقق نوعا من الانسجام المعرفي والمنهجي أثناء عملية النقد، إلا أنه لا يتأتى بيسر لكل ناقد، إذ أن الشخصية العربية كما صدرنا سابقا شخصية معجبة بذاتها و ترفض التعدد لأنه في نظرها نقصان للكمال، و هذا ربما تأتي من

[1]– ينظر، مصطفى خضر، المرجع نفسه ، ص 78.

[2]– مرشد الزبيدي، اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.

اختلاط المفاهيم و التصورات بين ما هو ديني اعتقادي و بين ما هو منهجي علمي إذ كما لا يتصور تعدد المناهج الموفقة حتى و إن كان التعدد حاصل في أعماله، حتى العقدية منها، فهو يرفضه و يؤوله بغير ما هو عليه و عملية الإيمان بالتكامل المنهجي تتأسس تدريجيا انطلاقا من الرؤية النقدية الواعية بمسلمات الأدوات النقدية و علاقتها بالنص الواقع، و ينبغي أن نعي جيدا أهمية التكامل بين المناهج في دراسة الظاهرة الأدبية من خلال جملة من الخصائص النقدية التي طرحها عبد الله الغذامي وهي كالآتي:[1]

- انفتاح آفاق البحث و عدم حصره في زاوية معينة.
- الاستفادة من رحابة المناهج في الدراسة العلمية.
- الوصول إلى وحدة العلم أو العلم الموحد الذي يبرس كل شيء بوسائل عامة و مجردة.
- تنمية الكفاءات و المهارات المساعدة على اكتساب القدرة على التفكير المتعدد لدى الباحث.

و عليه يمكن أن تصبح القراءة النقدية في ظل التكامل بين النقد الثقافي و النقد الأدبي بديلا عن النقد أحادي المنهج الذي يسلط نوعا من التعسف المنهجي و النقدي على خطاب أو النص، فلكي تتم القراءة الصحيحة لابد من حضور طرفيها " النص، الناقد" حضورا حواريا تفاعليا، كما يقول **لآيزر**، و لا يتم هذا الحضور إلا إذا كان الطرف الأعلى "النص" ثريا مبتدعا و كان الطرف الثاني "الناقد" ملما منفتحا و على كل حيثيات النقد و مدارسهم النقدية و تفرعاته المنهجية و الإيديولوجية أثناء الدراسة و هذا لا يأتي إلا بالتسلح المستمر بالأدوات و الآليات الإجرائية التي تساهم في تفعيل عملية القراءة النقدية و تسهيل تواصل النقد بكل المدارس النقدية و الاستفادة منها بطريقة تجعل من العملية النقدية مرنة و سلسلة دون إفراط و لا تفريط.

[1]– ينظر، المرجع السابق، ص140.

و يمكن بناءاً على ما سبق من وضعها مجموعة من الملاحظات التي يجب أن يراعيها ناقد النص الأدبي الغير المقدس للمنهج و المنفتح على جل المناهج النقدية على اختلاف مشاربها التي سعت« إلى التشبه بالعلم و استخدام أدواته و الاستفادة من معادلاته و أحكامه و أرقامه في مقابل مجافاة التأثيرات الذوقية و إنكار الرؤية الذاتية » [1]؛ و من هذه الملاحظات:

- عدم التركيز على منهج نقدي واحد أثناء الدراسة النقدية للظاهرة الأدبية، بل يستحسن الاستعانة بمناهج أخرى تساهم بشكل ملحوظ في كشف خبايا الظاهرة الأدبية و محاولة تحليلها وفق الأطر المناسبة لذلك دون إجحاف.
- مراعاة نوع من التقارب و الانفتاح النظري و التطبيقي بين جل المدارس النقدية التي تسعى إلى التكامل خاصة إذا كانت لها أصول فلسفية و منهجية متقاربة.
- الخوص في عملية التكامل يستدعي من النقاد التسلح التام بأدوات و آليات نقدية تحقق التكامل دون شرط أو قيد، على أن تحدد تلك الأدوات سلفا من أجل المساهمة في هذا المشروع النقدي العربي الأصيل.
- وقوع نقدنا العربي تحت هيمنة الأحادية النقدية؛ و كف حركته من الإبداع لما هو أصيل و متفرد و منطلق من واقع همومنا الثقافية الخاصة، و طبيعة النص الإبداعي، و هذا كله من أجل إنهاء الغربة المنهجية التي يحييها نقدنا العربي[2].

كثيرة هي المدارس النقدية التي وقعت في إشكالية العجز النقدي للظاهرة الأدبية و هذا لطبيعة النص الخاصة أو لعدم قدرة المنهج على تفكيك شفرات النص، و مناسبة المنهج النقدي له أثناء عملية التحليل.

[1]– صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ط2، ص152.

[2]– المرجع السابق ، ص 153.

قد تتباين النظريات النقدية ظاهريا و إجرائيا، إلا أنها تتقاطع في العديد من القضايا لهذا كانت النصوص المعروضة على النقد تواجه بأساليب عدة لتشريحها و فهمها، و الإجراء النقدي هو الذي يعلي من شأنها أو يقلل منه، و هكذا تبقى عملية النقد في أخذ و ردّ بين الناقد من جهة و المبدع من جهة مقابلة في ثنائية ضدية[1].

عموما إن المدارس كلها متكاملة فيما بينها في حين تبقى الظاهرة الأدبية صعبة المنال تتطلب فهما عاليا للأصول النقدية و قاعدة معرفية مركبة، تسمح للناقد بمسح كل حواشي النص ما ظهر منها و ما بطن و عليه تبقى العملية النقدية في أخذ و ردّ حتى تقف على مداخل و مخارج الظاهرة الأدبية، كما إن الإجراء النقدي هو نقل المنهج من مستوى التنظير العام إلى مستوى التطبيق الخاص أو مستوى الممارسة، و هذه الممارسة الإجرائية غالبا ما تختلف من ناقد إلى آخر حتى في نطاق المنهج الواحد، فما بالنا نرفض الاختلاف في مناهج مختلفة؛ إذن فالتطبيق النقدي هو محك الأول و الأخير الذي يؤكد مصداقية التنظير أو عدمه، و إن عدنا إلى تاريخ أي منهج نقدي سوف يتأكد لنا أن ثمة فرقا كبيرا بين بداياته النظرية و نهاياته التطبيقية بشكل كبير جدا، و هذا ما يقال اليوم في النقد الأدبي و تطبيقه الذي يبقى رهينا بما نريد من النقد، و يبدو أننا في زمن الضنك الذي نعيشه على المستوى العربي خاصة و المستوى الإنساني عامة، نريد من النقد أن يكون دنيويا إلى أبعد الحدود علّه يفلح في تشخيص عوامل سقطاتنا الإنسانية و هذا ما يميل إليه النقد الثقافي و يسعى إليه[2].

[1]– محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، شركة النشر و التوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص 59.

[2]– ينظر، نفس المرجع، ص70.

9- روافد النقد الثقافي:

أ- الرواد الغربيون:

- **ميشال فوكو** Michel Faucault(1926-1984): فيلسوف فرنسي من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين، تأثر بالمدرسة البنيوية، أما في مشروعه الثقافي، فقد حلل تاريخ الجنون في كتابه " تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" كما عالج مواضيع مثل الإجرام و العقوبات و الممارسات الاجتماعية في السجون، و ابتكر مصطلح "أركولوجية المعرفة"، كما حاول التأريخ للجنس من خلال "حب الغلمان عند اليونان"، وصلا إلى معالجاته الجدلية المعصرة كما يلي " تاريخ الجنسانية "، له أيضا في هذا المجال كتاب "الكلمات والأشياء" صدر أواخر الستينات و هو بحث حفري في العلوم الإنسانية.
- **ريتشاد هوجارت:** Richard Hoggart و يعتبر من مؤسسي الدراسات الثقافية المعاصرة في جامعة بيرمينجهام ، و يعد كتابه " فوائد القراءة و الكتابة " كتابا تأسيسيا في هذا المجال.
- **ريموند ويليامز:** Raymond Williams و من مؤلفاته "الثقافة المجتمع" و "الثورة طويلة الأجل"، و يرى ويليامز أن الثقافة هي كيان واحد لا يتجزأ، و أسلوب حياة كامل من الناحية المادية و الفكرية و الروحية، و قد تتبع مراحل تطور الثقافة، كما اهتم بظهور الثقافة الإنسانية في مجتمعات معينة حيث تشكلها الأنظمة المحلية و المعاصرة.
- **ستيوارت سال:**Stuart Salle عالم اجتماع و ناقد أدبي، انظم إلى مركز الدراسات الثقافية منذ تأسيسه، و قد أمد هول حقل الدراسات الثقافية بتأثيرات ماركسية محورة أو مطورة و ظل مؤمنا بضرورة أن يكون لهذا الحقل من الدراسات ارتباطا و تأثير في الواقع. فالقيمة الحقيقية عنده للمعرفة و للفكر تتمثل في مقدار تفاعلها و تأثيرها على المجتمع.

و قد تأثرت الدراسات الثقافية البريطانية بكتابات ألتوسير و أنطونيو غرامشي بوجه خاص، إضافة إلى تأثيرات ماركسية أخرى.

- **بيير بورديو**:Pierre Bourdieu و يعد من أعلام الدراسات الثقافية الفرنسية، و مما يراه أن المملكة الثقافية هي القدرة على قراءة الشفرات و فهمها، إلا أن هذه القدرة و من ثم الملكة الثقافية لا يتم توزيعها بين الطبقات الاجتماعية بشكل متاح.
- **أشيش كاندي**:Ashish Candy عالم نفسي و ناقد ثقافي، الأب الروحي للدراسات الثقافية في جنوب شرق آسيا، طور هذا الحقل ليصبح نشاطا محليا يمكن ممارسته في مجالات المعرفة و الهوية و هو يعد نفسه من ضحايا التاريخ، و مجموعة من الأفكار الغربية مثل ، العلم، العقلانية، التنمية، الدولة المستقلة... و هذه المعطيات هي التي حاول الوقوف عنها من خلال تناوله لمشروعه الثقافي[1]

ب-الرواد العرب:

- **إدوارد سعيد:** مفكر و ناقد و منظر ذو أصول فلسطينية 1935-2003، و يعتبر كتابه "الإستشراق" أحد نتائج هذه المنهجية الدراسية الجديدة، فانطلاقا من تصورات الاستعمار والاستعمار الجديد اللذين هيمنا على جزء كبير من أقاليم الكرة الأرضية، انكب إدوارد سعيد على دراسة إنعكاسات تلك التصورات الاستعمارية في الأفكار السياسية الغربية، و الأبحاث التاريخية، و أبحاث الآثار، و امتد تحليله إلى رحلات الاستكشاف و الأدب الروائي و المسرحي، والفلسفة وصولا إلى الثقافة الشعبية...و لقد فتح هذا الكتاب آفاقا جديدة في ميدان البحث و علاقات البحث بين الغرب و المشرق العربي المعقد، و كانت نظرية متميزة بمعالجة دقيقة، و معايشة مهمة لروافد الثقافة العربية، و كانت له تحليلات مهمة للفن العربي و الشرقي.
- **محمد عابد الجابري:** له دراسات تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية سنة 1985.
- **جابر عصفور:** و ذلك من خلال تناوله للكثير من القضايا النقدية التي تنشر شهريا في مجلة العربي الكويتية.

[1]- ينظر، مجلة الأدب العربي

- **إدريس الخضراوي:** و ذلك من خلال كتابه " الأدب موضوعا للدراسات الثقافية" الذي يحاول الاقتراب من مجموعة من القضايا الشائكة التي تتناسل أسئلتنا المتعددة حول النقد و مفهومه، و ما أنتجه ذلك من جدل و سجال في تاريخ المعرفة الأدبية فضلا عن تاريخ الأفكار و تجلياته المتعددة في نظرية الأدب بشكل عام[1].

و عليه فقد ظهر النقد الثقافي كردّ فعل على النظرية الجمالية و البنيوية اللسانية والسيميائية النصية، و فوضى التفكيك و عدميته و ذلك باتجاهاته المختلفة، الماركسية الجديدة و المادية الثقافية و التاريخية الجديدة، و ما بعد الكولونيالية، و النقد النسوي...

و هذا و قد ارتبط النقد الثقافي، و ذلك على مستوى التحليل، و تشغيل الآليات المنهجية بمجموعة من العلوم الإنسانية، كالتاريخ، و الأنتروبولوجيا، و علم النفس، و علم الاجتماع، و الفلسفة، و علم الإعلام، و علوم الحضارة[2].

[1]–ينظر، نفس المجلة

[2]– عبد الرحمان بن إسماعيل، الغذامي، الناقد قراءات في مشروع الغذامي النقدي، مؤسسة اليمامة للنشر، الرياض، العدد 97، 98، ديسمبر 2001م يناير 2002، ص 18

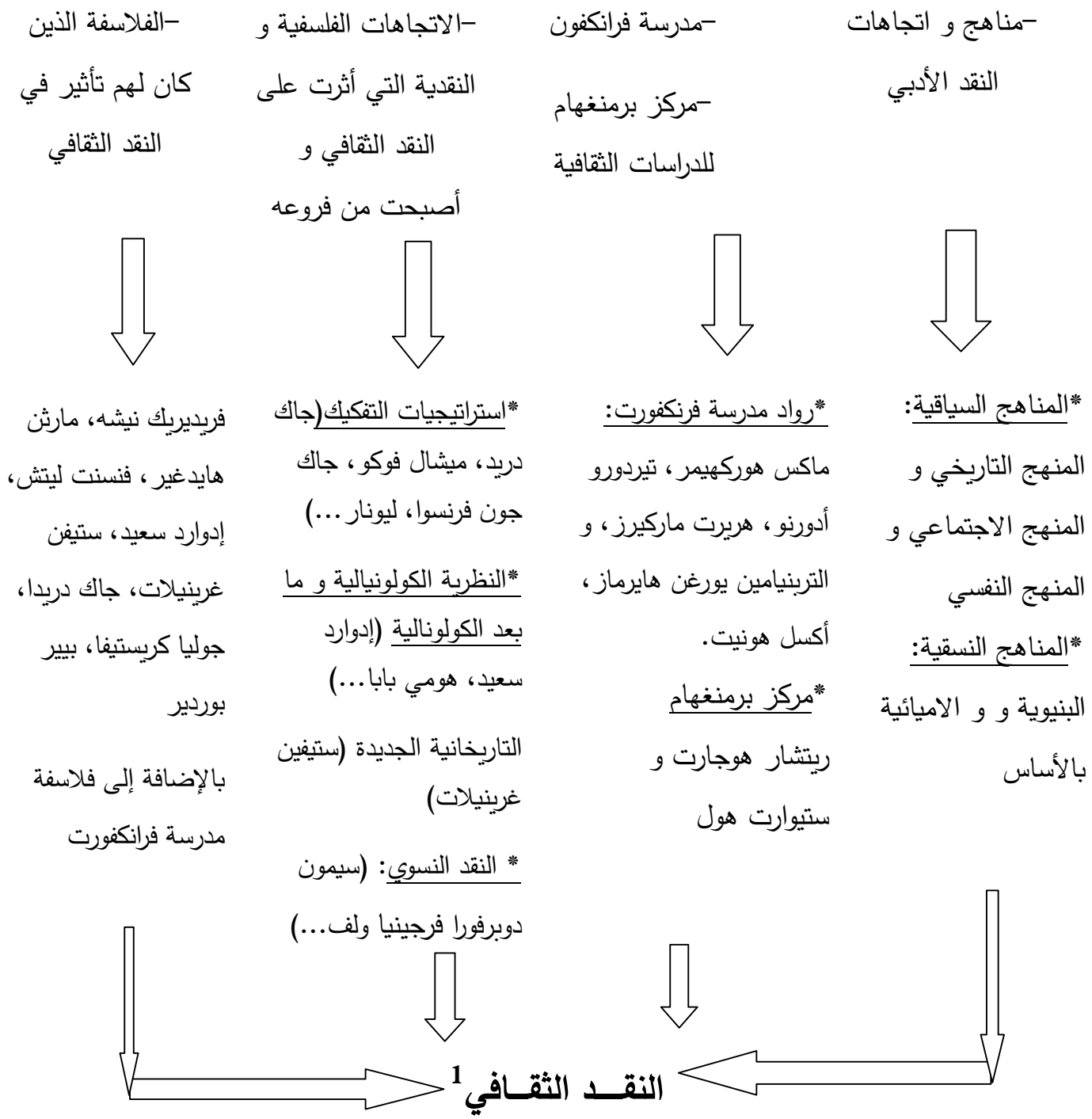

[1]- فريد مناصرية، النقد الثقافي و سؤال النسق و مفاهيم و تطبيقات المثقف للنشر و التوزيع 2002 ص 60.

تمهيد:

أسهمت عوامل كثيرة في بلوغ المعرفية النقدية النضج الذي عرفته و بلغت أوجّه في القرن العشرين حيث تطورت العلوم و تنوعت المعارف و التخصصات و تداخلت مع النقد فنتج عنها مناهج نقدية عديدة و مختلفة باختلاف توجهات النقاد و مرجعياتهم العلمية و الفكرية.

«فأصبح النقد يشكل في الدراسات الأدبية مجالا واسعا إلى أن أصبح الضرورة التي لا غنى عنها لتنمية و تغذية النص الأدبي بمختلف تلاوينه و اعتبر النقد الأدبي إلى عهد قريب أداة منهجية لقراءة وإعادة قراءة النصوص الأدبية إلا انه و نظرا لتنامي نظريات نقدية جديدة كان لزاما على الدراسات الأدبية بين الحين و الآخر مراجعة الطرق و المناهج المتبعة لفتح المجال لمناهج جديدة ولإعادة بناء النص و تأطيره بمنظورات أخرى مغايرة » [1]، يقوم النقد الثقافي على مجموعة من الثوابت و المفاهيم النظرية و التطبيقية و هي بمثابة مرتكزات فكرية و منهجية، لابد أن ينطلق منها الباحث أو الدارس لمقاربة النصوص و الخطابات فهماً و تفسيراً و تأويلاً، ولعل تجربة عبد الله الغذامي من أبرز المشاريع في هذا الاتجاه الجديد يطرح عبد الله الغذامي مشروع النقد الثقافي« بوصفه بديلا من النقد الأدبي باعتبار أن هذا الأخير قد بلغ سن اليأس و شارف على الموت، فالعلوم في نظره تموت كما المخلوقات جميعا، من هنا لابد من البحث عن وسائل جديدة تقرأ الخطابات و تكشف عن وسائل الثقافة في تمرير أنساقها، و هذه الأنساق إنما هي أنساق تاريخية و أزلية و راسخة و

[1]– العلوي رشيد النقد الثقافي عند عبد الله الغذامي، مجلة أنفاس، 24 أيلول/ شتنبر 2009 من موقع الكتروني www.ansasse.ang

لها الغلبة دائما، و علاماتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق » [1].

1-عبد الله الغذامي و مرجعية مشروعه الثقافي:

يقوم مشروع عبد الله الغذامي في النقد الثقافي منذ بداياته على تنويع قائم على مصادر متنوعة و ذلك بنقل المناهج النقدية الغربية إلى الساحة النقدية العربية و استثمارها في قراءة النصوص الأدبية شأنه في ذلك شأن كثير من النقاد في مرحلة الثمانينات التي تميزت بالتركيز على أدبية النص الأدبي و طغيان المناهج النصية، وعلى الرغم من هذا فملامح المشرع الثقافي رافقت الغذامي منذ صدور كتابه الأول إلا أن إقدامه على التنظير ظهر في كتابه "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية" منطلقا من إيمان بقصور النقد الأدبي في قراءة النصوص حيث« اقتصر على نوع من القراءة الخالصة التبريرية للنصوص الأدبية و يريد له أن ينخرط في كشف العيوب النسقية المختبئة خلف النصوص أو فيها و من ذلك يريد القول بأن الوظيفة التقليدية للنقد أفضت إلى نوع من العمر الثقافي » [2]

الناقد السعودي "**عبد الله الغذامي**" أحد أبرز و أشهر النقاد العرب الذين يملكون مشروعا نقديا ثقافيا حداثيا متكاملا، و قد أسال حبر الكثير من النقاد من خلال كتاباته ومؤلفاته.

أفضت الحركة النقدية المتسارعة في الغرب إلى تطور ملحوظ و ملموس في الساحة النقدية العربية، لهذا فرض الباحث والناقد العربي "**عبد الله الغذامي**" وجوده في الساحة

---

[1]- بن صالح نوال، النقد الثقافي في الخطاب النقدي المعاصر، قراءة في تلقي مشروع عبد الله الغذامي، مجلة أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، العدد1 من موقع إلكتروني www.asjp.cerist.dz

[2]- عبد الله إبراهيم، المطابقة و الاختلاف، بحث في نقد المركزيات الثقافية، ص335.

النقدية العربية من خلال تجربته الرائدة التي ظهرت في« مرحلة التمخضات الكبرى التي عرفها النقد العربي الحديث مرحلة الثمانينات من القرن العشرين، و التي شهدت بداية انهيار نسق في التفكير النقدي و بداية ظهور نسق مختلف حددت ملامحه العامة التيارات النقدية العربية فهي فترة شهدت بداية انحصار كثير من الظواهر الفكيرة و الأدبية، و بداية ظهور أخرى جديدة انبثقت من الأشياء القديمة المتناقصة التي بدأت تتأزم و تُظهر عجزا في تفسير موضوعاتها، لقد تفاعلت أسباب كثيرة أدت إلى هذه التمخضات التي كان من نتاجها حركة استبدال واسعة في كثير من المفاهيم الإيديولوجية و الثقافية و الأدبية وتبلور نوع من الاعتراف المتردد و الخجول بالجديد في مجال النقد و الفكر و الثقافة عموما » [1].

« يقوم مشروع الغذامي في النقد الثقافي على تنويع قائم على مصادر متنوعة هو إن حاول استخلاص مبادئ النظرية من مظانها الغربية غير أنه أكسبها مشروعية التصقت باسمه و عدت من مختصاته فقد حاول أن يعطي لنقده الثقافي "الروح" العربية المطبوعة بأسباب الاجتهاد الثقافي و المساعدة على نماء النظرية و توسيعها، فالمعطى الغربي النظري الذي يبدأ به عادة كتبه بتحويله إلى خلخلة للبنى الثقافية العربية قراءة تفكيكية لأهم القوانين و الأطر المتفق عليها » [2]

إن ما يميز عبد الله الغذامي هو الجرأة الفريدة التي يمتلكها في طرح آرائه و تعميقها بإصرار قلّما يمتلكه ناقدا آخر، فمشروعه الثقافي يمثل الجرأة في إعادة مواجهة كثير من أسئلة النقد المنعزل عن القضايا المصيرية الفكرية و الأخلاقية و السياسية. يحاول الغذامي أن يجد لنفسه موقعا مسؤولا في هذا العالم و في هذه المرحلة المفصلية من وجود أمته

[1]– عبد الله ابراهيم: المطابقة و الاختلاف، بحث في نقد المركزيات الثقافية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 2004، ص534.

[2]– سمير خليل، عبد الله الغذامي في النقد الثقافي، الريادة الجرأة، الواقع من الموقع pormalinh.m.facebook.com

بانتقالها من قرن إلى قرن بعد أن ارتضى النقد العربي قبل عقدين من الزمن انكفاءته الآثمة مبتعدا عن قضايا الأمة العربية و اشكالياتها في العقود الماضية من خلال انزوائه في زوايا النصوصية الأكاديمية الجافة و المتحذلقة و المعزولة عن ما يحدث حولها[1]

و إن من تابع التنقلات النوعية للغذامي في مجال النقد من خلال كتاباته يكشف فيه" نزعة حماسية تؤدي به إلى مواقع الخلاف لا التوافق الخلاف لا مع الآخرين فحسب، بل مع أفكاره هي التي يعيد إنتاجها في بعض المواقع على نحو يفوضها و لعل هذا الأمر يبدو في عرفنا العربي نقيصة تتطلب استدراكاً، في وقت تحتاج الثقافة العربية باستمرار إلى ديناميكية الاختلاف، فهي النافذة التي تتجدد عيوبها هواء المعرفة و يثبت في حضانتها المهاد النظري للعقل النقدي و تضعف بواسطتها ثقافة البروتوكولات » [2].

و الهدف وراء إقامة الغذامي لمشروع النقد الثقافي كشف العيوب النسقية، و التخلص منها، معتمدا على العقلانية« إجراء و منهجا و متصورا، و قد كان ذلك لأنه يمثل إعادة قراءة ليست لنصوص الثقافة إحصاء و جمعا و تبويبا و لكن للنماذج و الأنساق التي صدرت عنها هذه النصوص و تولدت بها »[3]

وصل الغذامي إلى النقد الثقافي محملا بخلفيات نقدية ألسنية لازمته في مراحله الأولى تنظيرا و تطبيقا، من بنيوية و سيمولوجية و تفكيكية و تشريحية–على حد قوله– ساهمت من قريب أو بعيد في اكتمال مشروعه الثقافي، و خاصة النقد التفكيكي الذي له تأثير واضح على النقد الثقافي و النسوي لأنه « شكك بمبدأ الإرث النظري للنقد الأدبي.

---

[1]– نادر كاضم: تعارضات النقد الثقافي أو رحلة النسق المتناسخ، دراسات (عبد الله الغذامي و الممارسة النقدية و الثقافية) المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 2003، ص102.

[2]–فاطمة المحسن، عبد الله الغذامي في مسماه نحو تأسيس قيمة إبداعية للأنوثة، كتاب الرياض، ع97–98، ص384.

[3]– منذر عياش: النقد الثقافي بين العلم و المنهج قراءة في كتاب عبد الله الغذامي، ص92.

و أكد أن المعنى في كل خطاب أدبي هو نتيجة العلاقة الخلافية بين الحضور والغياب أو بين المعنى المتحقق و المعنى المرجأ، و ما دام المعنى في النص الأدبي غير ثابت و غير نهائي فيما يوضح دريدا في «المشاكلة و الاختلاف» فان المجال يغدو مفتوحا لتجاوز كل المعايير و القوالب الجامدة و اشتقاق معايير أخرى جديدة » [1] و بالتالي فكانت مؤلفاته بمثابة مرجعية ضمنية لنقده الثقافي على اختلاف في درجة تأثيرها.

إن كتاب الخطيئة و التفكير الصادر سنة 1985 هو أول كتبه و تناول من خلاله خصائص أدب حمزة شحاتة بمقاربة بعيدة عن مقاربة النقد الأدبي الذي يتصيد الصور البلاغية أويتعقب مواطن الفتح اللغوي، و المجازي، و الإيقاعي، فكانت مقاربته مقاربة ناقد ثقافي يفجر متنا ثقافيا، يضمر أمراضا ثقافية، و قارئ ثقافي يحرق شيما ثقافيا، يكرس علاقات مختلفة بين الرجل و المرأة » [2]

و كما اهتم الغذامي بالسياق و رأى أنه لا يمكن قراءة النص و تفسيره، بمعزل عنه لأن « إدراكه عملية ضرورية لتذوق النص و تفسيره، و هذه هي معرفة (الجنس الأدبي) للنص و كل عمل أدبي تختلف قيمته بناء على جنسه و سياقه » [3]، و صدر له في عام 1991 صدر له كتاب عن دار الآداب في بيروت كتاب يحمل عنوان «الكتابة ضد الكتابة». وهو إشارة واضحة لفكرة النسق المضمر حيث يقول« و ما الأمثلة إلا علامة على ما في اللاشعور الجمعي عن أحاسيس مطمورة، و ترديد المثل على الألسنة دليل على هذه الرغبة التي تخجل من الظهور المعلن، و لكنها تتسلل عبر الكلمات لتفضي بمكونها » [4]

---

[1]– إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك

[2]– إدريس جبري: الإمكانات و العوائق في المشاكلة و الاختلاف، ص45، كتاب الرياض ع97–98 .

[3]– عبد الله الغذامي، الخطيئة و التفكير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية للكتاب، ط1، 1998،ص 13.

[4]– عبد الله الغذامي الكتابة ضد الكتابة.

و في كتاب "ثقافة الأسئلة/ مقالات في النقد و النظرية" الصادر سنة 1992 يخطو الغذامي خطوة واضحة نحو النقد الثقافي خاصة بتحليله لقصيدة محمود درويش(عابرون في كلام عابر) حيث يقول:« لقد جاءت هذه المقالات استجابة لأسئلة تتوارد علي منذ صار مشروعي الثقافي مرتبطا بمنهجية نقدية واضحة المعالم، و تقوم هذه المنهجية على (النقد الألسني) أو (النصوصية) معتمدا بذلك على ما يعرف بنقد ما بعد البنيوية و هو –عندي– نقد يأخذ من البنيوية و من السّيمولوجية و من التشريحية منظومة من المفهومات النظرية والإجرائية تدخل كلها تحت مظلة الوعي اللغوي بشروط النص و تدلياته التكوينية والدلالية » [1].و من خلال هذا التصريح يؤكد امتلاكه الزاد المعرفي و الألسني للتمكن من الشروع في النقد الثقافي.

إن مدونة "رحلة إلى جمهورية النظرية، مقاربات لقراءة وجه أمريكا الثقافي" الصادرة سنة 1994 محاولة من الغذامي لتقديم قراءة لوجه أمريكا الثقافي و محاولة فهمه « لا يعمد هذه المرة إلى تحليل النصوص الإبداعية و إنما يستنطق الحضارة الأمريكية على أساس أنها حضارة القوة المسيطرة و الغرب الذي يبني نموذج النظام العالمي الجديد » [2]

حاول أن يتحدث عن معنى القوة بالنسبة لأمريكا، و هو درس تعلمه من الحضارات السابقة. و بهذا تتوسع آفاق النقد عند الغذامي بتجاوزها حدود الأدبية و الاقتصار على الاهتمام بالنص إلى مساءلة الخطابات و الثقافات و الحضارات.

و هذا ما فعله مع أمريكا التي هي حسبه« كتاب مفتوح قابل للفهم و لسوء الفهم مثل أي نص إبداعي ينطوي على المجاز و على الضمني و المضمر و ما أكثر الذين حاولوا قراءة هذا النص الأمريكي العجيب و كم وثقوا بصدق تصوراتهم و صحة تأويلاتهم، منذ

[1]– عبد الله الغذامي، الأسئلة مقالات في النقد و النظرية

[2]– إدريس بلمليح، الرؤية و المنهج لدى الغذامي، ص28.

قراءة ماتوسي تونج المشهورة و نبوءته بتحطيم العملاق من الداخل، و لكن العملاق لم يزل يزداد عملقة و جبروتا إنه مثل كتاب مسموم يقتل قارءه و لا يموت هو . »[1]

و كتاب المشاكلة و الاختلاف قراءة في النظرية العربية و بحث في الشبيه المختلف الصادر سنة 1995 و هذا الكتاب قائم على ثنائية المشاكلة و الاختلاف، و المشاكلة هي« تفاعل المعنى بالشكل، و لكن دون دلالة و بالتالي يستحيل إنتاج الأدب أو إبداع مختلف مما يكرس قيما ثقافية و أدبية محافظة مستهلكة و مغلوقة أما الاختلاف فتفاعل المعنى بالشكل و بالدلالة، ....، فكلما كانت المسافة الجمالية، مخالفة لتوقع المتلقي، كلما تحقق نص الاختلاف كلما تضاءلت هذه المسافة الجمالية، تراجعت أدبية الأدب و تشاكل النص مع الواقع و عمود الشعر التقليدي علامات الذكورة و الفحولة » [2]

و كما يقرأ له كتاب "المرأة و اللغة" 1996 و "ثقافة الوهم" سنة 1998 و تأنيث القصيدة و القارئ المختلف 1999.

بالإضافة إلى كتاب النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية الصادرة سنة2000.

2- مرجعية النظري في نقده الثقافي:

تناول الغذامي الجانب النظري من النقد الثقافي في الفصل الثاني من مدونته التي تحمل عنوان " النقد الثقافي/ النظرية و المنهج " استهلها بالحديث عن الأدب و الأدبية و علاقتهما بالمؤسسة الثقافية و ما توارثته من مواصفات بلاغية و جمالية قديمة و حديثة، و النقد الثقافي كما يريده الغذامي مصمم لنقد الأنساق الثقافية، و هو يهدف إلى تفكيكها و التحرر من سيطرتها في تكييف الأفعال و السلوك و العلاقات و المعاني و طرائق التفكير.

[1]- عبد الله الغذامي، رحلة إلى جمهورية النظرية مقاربات لقراءة وجه أمريكا الثقافي، مركز الإنماء الحضاري، حلب،ط2، 1998، ص19.

[2]- إدريس جبري، الإمكانات و العوائق و الاختلاف، ص45.

و ذلك يُخرج النقد من وظيفته الأدبية إلى وظيفته الثقافية، الأمر الذي يحتاج إلى إحداث نقلة نوعية للفعل النقدي و هي موضحة كالتالي:

-إجراء نقلة في المصطلح.

-إجراء نقلة في المفهوم.

-إجراء نقلة في الوظيفة.

-إجراء نقلة في التطبيق

أراد الغذامي من هذه المقترحات التي توسع من وظائف الوسائل النقدية و أدوارها أن ينقذ النسق الثقافي الذي يتردد كثيرا في ثنايا مشروعه، و هو حسب الغذامي« ليس في محيط الوعي، و هو يتسرب غير ملحوظ من باطن النص ناقضا منطق النص في ذاته. و دلالته الإبداعية الصريح منها و الضمني، و هذه بالضبط لعبة الألاعيب في حركة الثقافة وتغلغلها غير الملحوظ عبر المستهلك الإبداعي و الحضاري مما يقتضي عملا مكثفا في الكشف والتعيين » [1]

و على هذا الأساس لا يمكن تقدير أهمية النقد الثقافي بدون أن يكشف عن محمولات النسق الثقافي السائد، و هي محمولات كثيرة و متنوعة و هو النسق الذي يجرد النقد الثقافي لمباشرته، أم وظيفة ذلك النقد فهي الانتقال من نقد النصوص إلى نقد الأنساق المضمرة أي نقد محمولاتها الثقافية.

3-مرجعية الدراسات التطبيقية:

يبدأ عبد الله الغذامي، بتطبيقه للنقد الثقافي باستنطاق الأخطاء النسقية التي غزت الشخصية العربية بفعل الشعر، و انتهى في تحليلاته إلى فكرة جوهرية مفادها أن العيوب

[1]- عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف: نقد ثقافي لأم نقد أدبي، ص40، دار الفكر، دمشق، ط1، 2004.

النسقية في الشعر العربي هي السبب في عيوب الشخصية العربية في مقدمة ذلك الشخصية الطاغية/ المستبد التي هي إحدى تجليات الفحولة، ذلك المفهوم المستقر في الشعر العربي القديم، فقد ورثت تلك الشخصية القيم الشعرية، و تمثلتها فأصبحت مكونا أساسيا من مكوناتها في العلاقات و السلوك، استثمر العربي تركة القيم الشعرية فتشربها، فاستبدت به و احتك بها فصاغته صوغا شعريا".[1]

ديوان العرب الذي كان مبعث فخر للأمة العربية و حامل ثقافتها هو عند الغذامي « المخزن لهذه الأنساق و هو الجرثومة المتسترة بالجماليات و التي ظلت تفعل فعلها و تفرز نماذجها جيلا بعد جيل ليس في الخطاب الشعري فحسب بل في كل التجليات الثقافية بدء من النثر الذي تشعرن منذ وقت مبكر، و كذا الخطاب الفكري و التأليفي بما فيه النقدي، و كذلك في أنماط السلوك و القيم و لغة الذات مع نفسها و مع الآخر » [2].

كما يعتبر الهجاء أيضا من العلوم النسقية للشخصية العربية المتشعرنة، و هو من الوسائل الترهيبية التي يستعملها الشاعر لدفع أصحاب المال و الجاه لمدحهم، و هذا يتعلق بقيمتين كريمتين في القبيلة هما الكرم و البخل، فإذا كان الملك يدفع للشاعر لمدحه فهو كريم و إذا كان لا يدفع فهو بخيل و سيقع عليه الهجاء، فكأنما للشاعر سلعة يعرضها على الشركات الإشهارية من أجل لفت انتباه الشعب إليها، و الشاعر يقدر سلعته بثمن معين حسب الطلب. هنا يحول القيم الإنسانية إلى شاعرية "[3]

---

[1]– عبد الله إبراهيم: المطابقة و الاختلاف بحث في نقد المركزيات الثقافية، ص541–542، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 2004.

[2]– عبد الله الغذامي: النقد الثقافي في قراءة الأنساق الثقافية العربية، ص87–88.

[3]– عبد الرحمن إسماعيل السماعيل: الغذامي الناقد قراءات في مشروع الغذامي النقد، ص333، مؤسسة اليمامة للنشر، الرياض، العدد 97–98 ديسمبر 2001 يناير 2002م.

يجعل الغذامي الأنساق كلها في نسق واحد و هو شعرنة الخطاب العربي القائم منذ القديم على اختراع الفعل و تزييف الخطاب وفضح الطواغيت و تفضيل الصمت على الحكي و التباس الحديث بالرجعي"[1]

4-الوسائل الإجرائية عند عبد الله الغذامي:

لقد اعتمد عبد الله الغذامي في مشروعه النقدي إلى تطوير أدوات النقد الأدبي لتخدم النقد الثقافي متحصلا بذلك على وسائله الإجرائية.

و يصرح الغذامي بذلك في قوله« و لكن الذي بوسعنا أن نفعله هو أن نستخلص نموذجنا النظري و الإجرائي مما هو أساس نقدي للمشروع الذي نزمع التصدي له، و هو ينحصر تحديدا في توظيف الأداة النقدية التي كانت أدبية و معنية بالأدبي/ الجمالي، توظيفها توظيفا جديدا لتكون أداة في (النقد الثقافي) لا الأدبي، مع التركيز الشديد على عملية الانتقال و كونه انتقالا نوعيا يمس الموضوع و الأداة معا، و من ثم يمس آليات التأويل و طرائق اختيار المادة المدروسة » [2]

و النقلة الاصطلاحية بما أنها أولى النقلات و أهمها ستشمل ستة أساسيات اصطلاحية هي:

أ-عناصر الرسالة

ب-المجاز

ج-التورية الثقافية

د-نوع الدلالة

---

[1]- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ص244، دار الميسرة للنشر و التوزيع، عمان، ط2، 2007.

[2]- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط1، 2000، ص 62-63

هـ-الجملة النوعية

و-المؤلف المزدوج[1]

4-1-عناصر الرسالة(الوظيفة النسقية):

ترتبط عناصر الرسالة مباشرة بجاكبسون من خلال النموذج الإتصالي الذي يقوم على ستة عناصر هي: المرسل، المرسل إليه، الرسالة، السياق، الشفرة، أداة الاتصال، و« التركيز على (المرسل) يعطي (الوظيفة الانفعالية) التي تعبر عن عواطفه ،و مشاعره، و التركيز على (المتلقي) أو المرسل إليه يعطي (الوظيفة الإفهامية)، أو الطلبية أي وظيفة التأثير على (المتلقي) أو التركيز على يعطي(الوظيفة الاحالية)، او المرجعية و التركيز على (السنن) أوالشفرة يعطي (الوظيفة الماوراء لغوية)و التركيز على (الرسالة) نفسها يعطي (الوظيفة الشعرية) » [2]

لقد أضاف الغذامي عنصرا سابعا للنموذج الاتصالي الجاكبسوني، ليتحصل على الوظيفة النسقية التي تجعلنا« نوجه نظرنا نحو الأبعاد النسقية التي تتحكم فينا و في خطاباتنا، مع الإبقاء على ما ألفنا وجوده و تعودنا على توقعه في النصوص من قيم جمالية و قيم دلالية، و ماهو مفترض فيها من أبعاد تاريخية و ذاتية و اجتماعية » [3].

و بالتالي نكون أمام سبعة عناصر لنظرية التواصل و سبعة وظائف، و قد أجملها الغذامي في المخطط التالي:

1-الشفرة

---

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص63.

[2]- إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ص244، دار الميسرة و التوزيع، عمان، ط2، 2007.

[3]- إبراهيم عبد العزيز السمري: اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الآفاق العربي، القاهرة، ط1، 2011، ص205.

2-السياق

3-الرسالة

4-المرسل 5- المرسل إليه

6-أداة الاتصال

7-العنصر النسقي[1]

تشكل هذه الإضافة بالنسبة للغذامي أساساً نظرياً لدراسته معتبرا أن هذا النسق هو أساس النقد الثقافي.

4-2-المجاز و المجاز الكلي:

المجاز مصطلح بلاغي عربي قديم، تناوله الكثير من النقاد قديما و حديثا من بينهم "عبد القادر الجرباني" الذي يقول:« وحده أن كل جملة أخرجت الحكم المضاد بها عن موضعه من العقل لضرب من التأول فهي مجاز » [2].

أما الغذامي فيرى أن المجاز« هو الأساس المبدأ في الفعل النصوصي غير أن مايحسن التاكيد عليه هنا هو أن المجاز قيمة ثقافية، و ليس قيمة بلاغية/ جمالية كما هو ظاهر في الأمر » [3]

يرفض الغذامي انحصار مفهوم المجاز في البلاغة، حيث يرى أن القيمة الثقافية للمجاز هي القيمة الحقيقية، و ليست القيمة البلاغية كما هو شائع في الدرس البلاغي.

ينبغي في نظره تجاوز هذا المعنى الضيق و ذلك بنقد المفهوم البلاغي للمجاز و اقتراح« مفهوم ثقافي للمجاز يوسع من مجاله و يهيئه لاستعمال نقدي أكثر وعيا بالفعل

[1]- عبد الله الغذامي : قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط1، 2000، ص66.

[2]- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح محمود محمد شاكر، دار المدني جدة، ص385

[3]- عبد الله الغذامي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط1، 2000، ص67.

النسقي و تعقيداته » [1] و التأمل في الفعل الثقافي من حيث أداؤه التعبيري المباشر ثم التأثيري غير المباشر، و هذا يعني أن ذلك يتم على مستوى كلي و ليس جزئي.

يعمد الغذامي إلى الحد من هيمنة المفهوم البلاغي فيوسع المجاز و يسميه "المجاز الكلي" ليكون« مفهوما كليا لا يعتمد على ثنائية الحقيقة/المجاز و لا يقف عند حدود اللفظة و الجملة، بل يتسع ليشمل الأبعاد النسقية في الخطاب و في أفعال الاستقبال » [2]

4-3-التورية الثقافية:

تعني التورية بالظواهر التعبيرية المقصودة فعليا في صناعة الخطاب و في تأويله. و هي حسب الغذامي« النقد الثقافي لم نعد معنيين بما هو في الوعي اللغوي، و إنما نحن معنيون بالمضمرات النسقية » [3].تتكئ التورية في النقد الثقافي على معنيين: معنى قريب غير مقصود و معنى بعيد مضمر، و هو المقصود.« ليدل دلالة كلية لا تنحصر في معنيين

قريب و بعيد مع قصد البعيد و إنما ليدل على حال الخطاب إذ ينطوي على بعدين أحدهما مضمر و لا شعوري، ليس في وعي المؤلف و لا في وعي القارئ. هو مضمر نسقي ثقافي لم يكتبه كاتب فرد و لكنه إن وجد عبر عمليات من التراكم و التواتر حتى صار عنصرا نسقيا يتلبس الخطاب و رعية الخطاب من مؤلفين و قراء » [4] و يعني هذا أن التورية الثقافية هي كشف للمضمر الثقافي المختبئ وراء السطور. و هكذا يوسع الغذامي البلاغة العربية القديمة، ليتخذ من التورية مفهوما إجرائيا جديدا بغية تطبيقه على النصوص في ضوء المقاربة الثقافية.

---

[1]- المرجع السابق، ص66-67.

[2]- عبد الله الغذامي : النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط1، 2000، ص69.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص 69-70.

[4]- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة غي المعاني و البيان و البديع، د. يوسف العميلي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت، ص301.

4-4-الدلالة النسقية:

إن الدلالة من القضايا التي شغلت حيزا كبيرا من اهتمام و جهود المفكرين العرب قديما و حديثا و قد عرفها **الشريف الجرباني** بقوله أنها« كون الشيء بحالة يرلزم من العلم، به العلم بشيء آخر، و الشيء الأول هو الدال و الثاني هو المدلول فدلالة النص علاوة على ما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهادا. فقوله لغة أي يعرفه كل من يعرف هذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تأمل » [1]

بنى النقد الأدبي مشروعه على ازدواجية دلالة صريحة و دلالة ضمنية و قد تناولها الغذامي في كتابه الخطيئة و التكفير بحيث يقول« نجد هما في كل نص أدبي و إن كان الفارق بينهما كبيرا، فالدلالة الصريحية جوهرية و محددة و ينذر أن يختلف فيها إنسان عن آخر، و تكفي فيها مجرد المعرفة الأولية باللغة، بينما الدلالة الضمنية تحتاج إلى معرفة (ذوقية) في اللغة و أدبها كي يتمكن المرء من إدراكها » [2]

و يقترح الغذامي دلالة ثالثة في قوله:« سنقترح نوعا ثالثا من أنواع الدلالة هو (الدلالة النسقية).

و إذا ما كانت الدلالة الصريحية مرتبطة بالشرط النحوي و وظيفتها نفعية/توصيلية، بينما الدلالة الضمنية ترتبط بالوظيفة الجمالية للغة، فان الدلالة النسقية ترتبط في علاقات متشابكة نشأت مع الزمن لتكون عنصرا ثقافيا أخذ بالتشكل التدريجي إلى أن أصبح عنصرا

[1]- ينظر، المرجع السابق، ص301.

[2]- عبد الله الغذامي، الخطيئة و التكفير من البنيوية إلى التشريحية، ص127.

فاعلا » [1] و عبر هذه الدلالة يسعى الغذامي إلى الكشف عن الفعل النسقي من داخل الخطابات.

4-5-الجملة النوعية(الجملة الثقافية)

يعتمد عبد الله الغذامي في مشروعه الثقافي على التقابل بين النوع الأدبي و النوع الثقافي، بحيث يوجد نوع من الدلالة يفترض بالضرورة وجود نوع مقابل من الجمل، فالدلالة الصريحة مرتبطة بالجملة النحوية، و الدلالة الضمنية مرتبطة بالجملة الأدبية و اقتراح الغذامي بوجود الدلالة النسقية يتبعه اقتراح جملة ثقافية حيث يقول:« الجملة الثقافية هي المقابل النوعي للجملتين النحوية و الأدبية. بحيث نميز تمييزا جوهريا بين هذه الأنواع، من حيث أن الجملة الثقافية مفهوم يمس الذبذبات الدقيمة لتشكل الثقافي الذي يفرز صيغة التعبيرية المختلفة، و يتطلب منا بالتالي نموذجا منهجيا يتوافق مع شروط هذا التشكل ويكون قادرا على التعرف عليها و نقدها » [2]. ونفهم من كل هذا أن الجملة الثقافية هي الهدف و المرمى و أنها تعني باستكشاف المنطوق الثقافي و تحصيل المعنى السياقي الذي يحيل عل المرجع الثقافي الخارجي.

4-6-المؤلف المزدوج:

ختتم الغذامي وسائله الإجرائية باقتراح المؤلف المزدوج، مؤكدا وجود مؤلف آخر غير المعهود هو الثقافة التي توجه المؤلف دون وعيه فالثقافة ذاتها تعمل عمل مؤلف آخر يصاحب المؤلف المعلن، و تشترك الثقافة بغرس أنساقها من تحت نظر المؤلف، و يكون المؤلف في حالة إبداع كامل الإبداعية و في مضمر النص نجد نسقا كاملا و فاعلا ليس في

---

[1]- عبد الله الغذامي،: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، بيروت، ط1، 2000، ص72.

[2]- ينظر: المرجع نفسه ، ص73.

وعي صاحب النص، إلا أنه نسق له وجود حقيقي، و إن كان مضمرا، فثقافة المؤلف فاعل و مؤثر، و المبدع يبدع نصا جميلا فيما الثقافة تبدع نسقا مضمرا على النقد الثقافي اكتشافه"[1].

هذه هي الوسائل الإجرائية و يعني هذا أن هناك فاعلين رئيسيين: المبدع الفردي أو ما يسمى أيضا بالمبدع الجمالي و الفني، و الفاعل الثقافي الذي يتمثل في السياق الثقافي.

كما يرى الغذامي« أن في كل ما نقرأ و ما ننتج و ما نستهلك مؤلفين إثنين، أحدهما المؤلف المعهود مهما تعددت أصنافه كالمؤلف الضمني و النموذجي و الفعلي، و الآخر هو الثقافة ذاتها، أو ما أرى تسميته هنا بالمؤلف المضمر » [2]

4-7-النسق الثقافي:

يجرى استخدام كلمة "النسق" كثيرا في الخطاب العام و الخاص و تشيع في الكتابات إلى درجة قد تشوه دلالتها و تبدأ بسيطة كان تعني ما كان على نظام واحد، كما في تعريف معجم الوسيط و قد تأتي مرادفة لمعنى البنية Structure أو معنى النظام System حسب مصطلح دي سويسير و اجتهد باحثون عرب في تعميم مفهومهم الخاص للنسق[3]. و يشكل مفهوم النسق محورا مركزيا في مشروع النقد الثقافي و النسق عند عبد الله الغذامي مصطلح نقدي يؤدي وظيفة نسقية و هذه الأخيرة تتحقق من خلال وجود مجموعة من الشروط[4] يمكن إيجازها في العناصر الآتية:

---

[1]- عبد الله الغذامي، عبد الله أصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص 33-34

[2]- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي للنشر الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000، ص75.

[3]- ينظر: عبد الله الغذامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص76.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص78.

أ–لابد أن يكون النص جميلا و يستهلك بوصفه جميلا، لأن أخطر حيل الثقافة لتمرير الأنساق هي الجمالية. بمعنى أن النص يخفي في مكوناته مضمرات لا نستطيع أن نبلغها إلا عن طريق التأويل.

ب–أن يكون النص جماهريا، و يحضى بمقروئية عريضة و ذلك لنرى ما للأنساق عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي و الثقافي.

ج–أن يكون المضمر منها نقيضا و مضاداً للعلني فإن لم يكن نسقاً مضمراً من تحت العلنين فحينئذ لا يدخل النص في مجال النقد الثقافي.

نستطيع أن نقول إن النقد الثقافي يتكون وراء كل ما هو جميل، و من خلال ذلك دعا الغذامي إلى تجاوز النص الأدبي .

د–نسقان يحدثان معا في آن واحد في نص واحد أو في ما هو بحكم النص الواحد.

نستنتج من هذه المعطيات أننا نكتشف النص من خلال نسقين أحدهما مضمر و الآخر جلي قبيح وراء جميل و بذلك تتحقق الوظيفة النسقية فالغذامي قد عرف النسق من خلال كل ما ذكر على أنه "دلالة مضمرة و أن هذه الدلالة ليست مصنوعة من مؤلف و لكنها منكبة و منغرسة في الخطاب، مؤلفتها الثقافة، و مستهلكوها جماهير اللغة من كتاب و قراءة يتساوى في تلك الصغير و الكبير و النساء مع الرجال و المهمش مع المستورد...[1]

و من خلال ذلك هناك شروط يجب أن تتوفر في النسق و هي:[2]

1–ضرورة أن يتصف النسق بأنه أزلي تاريخي، و راسخ له الغلبة في تجسيد حاجات الناس تحت أغطية جمالية و بلاغية.

[1]– ينظر: عبد الله الغذامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص79.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص 79.

2-أن يكون جبروتا رمزيا، يحرك الذهن الثقافي للأمة، و يقوم بتثميط ذائقتها و طرائق تفكيكها و تفكيرها، و ميولها و أحكامها و هنا يكون النسق عبارة عن رمز يتبادر إلى الأذهان فهو لا يفهم مباشرة إلا بعد التأمل المضمر و التمعن.

نستنتج أن الغذامي في مشروعه النقدي هذا ينظر إلى قراءة الأنساق الثقافية المضمرة في الثقافة العربية حيث لجأ إلى منهج القراءة التأويلية، كما أن النقد الثقافي وجد أصلا من أجل تلك الأنساق لكشفها و إخراجها من تحت غطاء الجمال و البلاغة« لعل أبرز علامات النسق أن تختلط الأحكام الثقافية ليس لدى المؤسسة الثقافية الرسمية، بل لدى ممثلي التجديد و التحديث، حتى لتأتي تطلعاتهم التجديدية على صورة مشوهة و محدودة المطمح، مما يعني أن النسق يصل في هيمنته حداً لا يتحكم فيه بالخطاب الرسمي فحسب بل الخطاب المعارض أيضا » [1]

هذه هي الوسائل الإجرائية المقترحة من قبل الغذامي و التي تقوم على أساس إجراء تعديل و تحوير في الأدوات النقدية المتجذّرة في النقد الأدبي لتتماشى مع جديد النقد الثقافي،كما جدد الغذامي أسلحة النقد الأدبي ليحارب بها أعداء النقد الثقافي المتمثلة في الأنساق الثقافية المضمرة المتغلغلة بخبث داخل الخطابات و حتى داخل نفس المؤلفين و القراء.

[1]- يوسف عليمات، النسق الثقافي، عالم الكتب الحديث ص16 أريد، الأردن، ط1، 2009.

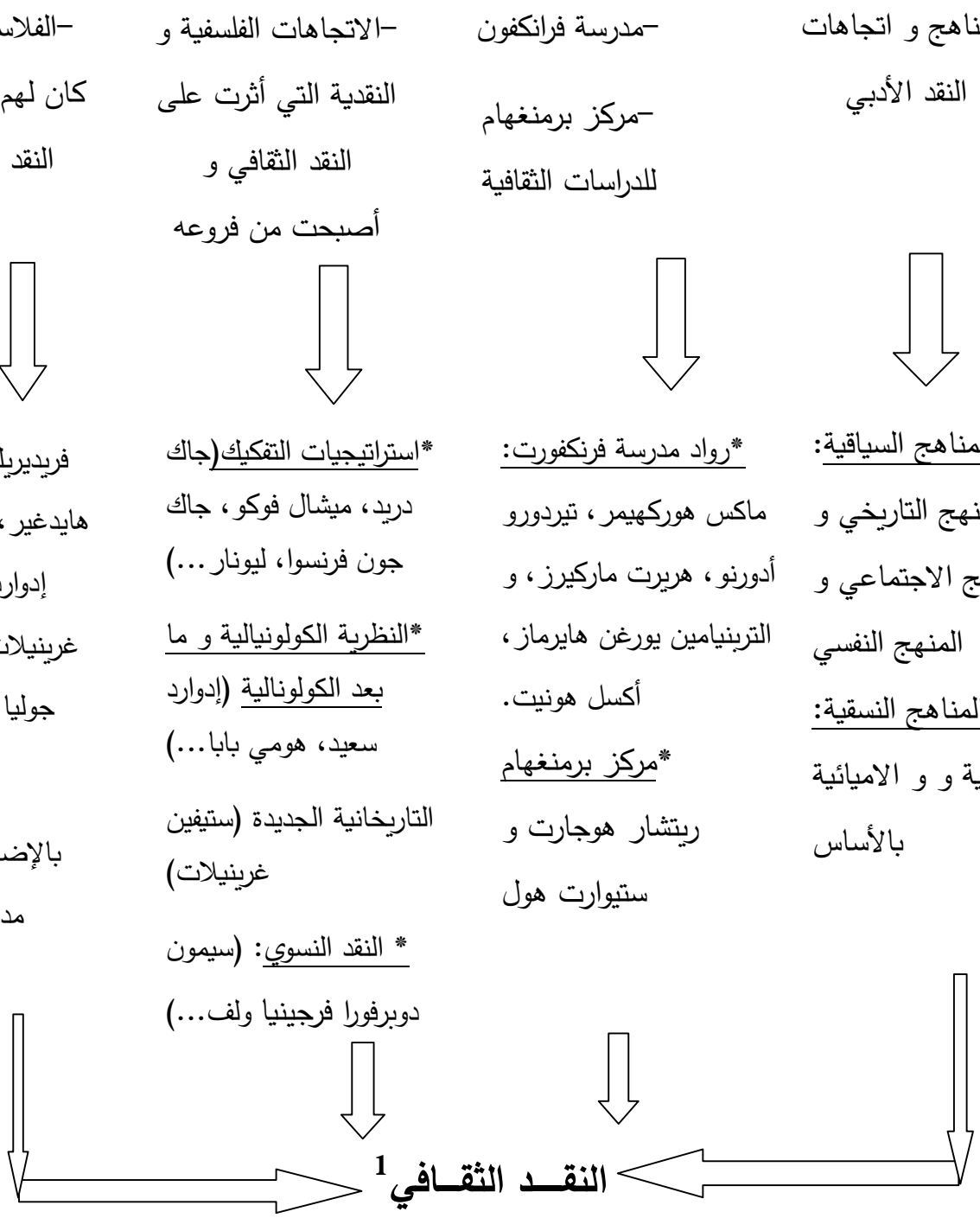

[1]- د.فريد مناصرية، النقد الثقافي و سؤال النسق مفاهيم و تطبيقات

نهاية البحث لا تعني طي صفحاته نهائيا لأن مجاله مفتوح دائما على الراغبين في الدخول في هذا العالم الفسيح، عالم النقد الثقافي. وقد مكنتنا دراستنا موضوع بحثنل إلى النتائج الآتية:

- يعتبر النقد الثقافي من أهم المفاهيم التي رافقت مقولة ما بعد الحداثة في الغرب.أن شهدت الحركة النقدية العربية تطورا ملحوظا منذ الستينات من القرن العشرين نتيجة تفاعلها مع معطيات الثقافة الغربية الوافدة، هذا التطور كان على مستوى الرؤية النقدية، إذ تلقى النقاد العرب مناهج حداثية بكيفيات مختلفة لقراءة النصوص الإبداعية.

- يقوم النقد الثقافي بإبراز القيم الإنسانية العالية التي تزخر بها الثقافات و الفنون كما يكشف عن العناصر الجمالية الكامنة داخل بنياتها.

- يعد **عبد الله الغذامي** من أكبر روّاد النقد الثقافي عند العرب فقد حاول أن يعطي التصور الصحيح لهذا النقد، و قد عمل جاهدا للكشف عن الأنساق المضمرة داخل النصوص الأدبية، و ذلك نتيجة خوفه على الشعر العربي باعتباره ديوان العرب من تأثره بتلك العيوب النسقية.

- دعوة **عبد الله الغذامي** إلى موت النقد الأدبي لا تعني قطيعة و قتل أدبية النصوص حيث لا نستطيع قراءة النصوص دون الوقوف على جمالياتها، و هو بهذا مؤسس منظومة أو نظرية جديدة.

- يعترف **الغذامي** بأنه ليس من الحكمة أن تخضع المنظومة المصطلحية النقدية لأي تغيير يقوم به بأحدث مجتهد إلّا أنه قد أضاف عنصرا سابعا هو العنصر النسقي لعناصر الاتصال اللغوي عند جاكبسون حيث أثار جدلا واسعا بين النقاد.

- النقد الثقافي في منظور **الغذامي** ليست حزما يُلغِي النقد الأدبي بل على العكس من ذلك فقد يعتبر شكلاً من أشكال النقد الثقافي.

- عمد **عبد الله الغذامي** في وسائله الإجرائية إجراء تعديل و تحوير في أدوات النقد الأدبي لتتماشى مع جديد النقد الثقافي و هي الوظيفة النسقية و المجاز الكلي و التورية الثقافية و الجملة الثقافية و الدلالة النسقية و المؤلف المزدوج.

- و في الأخير فإن ما نرجوه و نأمله أن نكون قد وافقنا في دراستنا هذه و أسهمنا في فتح آفاق جديدة للدارسين للقيام بالدراسات أخرى لإثراء المكتبة النقدية العربية.و التعريف بمشاريع النقاد العرب.

يعتبر عبد الله الغذامي من أهم النقاد العرب المعاصرين الذين يملكون مشروعا ثقافيا حداثيا، إذا استثمر أدوات منهجية غربية سمتها التنوع و الدقة، حاول من خلالها أن يترصد النتاج العربي التراثي، و أن يقرأه قراءة ثانية مخالفة كما هو معهود في الساحة النقدية العربية.

لذلك وظف النقد الثقافي كمنهج، يحاول من خلاله تقصي جملة الأنساق العربية المتأصلة في الفكر منذ العصر الجاهلي إلى وقتنا الراهن.

و النقد الثقافي عنده« معنى بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته و أنماطه و صفاته، ماهو رسمي و غير مؤسساتي و ما كذلك سواء بسواء من حيل دور كل منها في حساب المستهل الثقافي الجامعي و هو لذلك معنى يكشف لا الجماعي كما هو شأن النقد الأدبي و إنما هو كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي الجماعي » [1]

فالنقد الثقافي إذن مجاله النص باعتباره نتاجا ثقافيا، جامعا لمختلف القضايا و المكونات الاجتماعية و السياسية و الجمالية و التاريخية و التي تكون ثاوية في النص مختبئة تحت الأسطر.

من هنا فإن النص الأدبي مع هذا الناقد يتحول إلى نص ثقافي، لا يقرأه الناقد لذاته أو لجماليته و إنما يقرأه باعتباره حاملا لمجموعة من الأنساق المضمرة التي يصعب التعرف عليها بواسطة القراءة السطحية فالنص حس به " ليس نصا أدبيا، جماليا و لكنه أيضا حادثة ثقافية ".

فالشق عبارة عن مجموعة من الترسبات المختلفة التي تمارس على الأفراد سلطة من نوع خاص، هي حاضرة في فلتات أقلامها بصورة آلية، لأنها أصبحت تشكل جزءا هاما في لا شعورهم، و النسق لا يظهر إلا في النصوص الغامضة، فالنسق عند عبد الله الغذامي لا

[1]– ينظر، عبد الله الغذامي، قراءة الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي للنشر، المملكة المغربية، الدار البيضاء، ط2، 2001م.

يتحدد عبر "وجوده بل يتحدد عبر وظيفته و الوظيفة النسقي لا تحدث إلا في وضع محدد و مقيد هذا يكون حينما يتعارض نسقات أو نظامات من أنظمة الخطاب أحدهم ظاهر و الآخر مضمر[1]

هذا هو الغذامي الذي تقلقه توقعات قارئه فيعمل جاهدا الانتصار عليها لمفاجآت تشير دهشته و إعجابه. و ما بين يدي القارئ قراءات متعددة لمشروعه النقدي و مشواره الذي بدأه: بالخطيئة و التفكير فملأ به الدنيا و شغل الناس منذ منتصف الثمانينات و حتى هذه اللحظة.

هذه القراءات جاءت لتثبت جاءت لتثبت أن الغذامي أصبح رمزا من رموز الثقافة العربية على امتداد خارطة العلم العربي، و بهذا القراءات ماهي إلا جزء من القراءات المتعددة لمشروعه الثقافي، و هو بهذا يصبح محورا من محاور الوحدة العربية التي ظلت مشروعا مؤجلا في عقولنا العربية.

و القارئ لكتب الغذامي سوف يرى جانبا واحدا من صورة الغذامي، و هو الجانب النقدي الذي ملْ الدنيا و شغل الناس، و من حق قارئ الذي أحبه و أعجب به، أن يرى الجانب الإنساني الذي يمثله عبد الله الغذامي المولود في مدينة "عنيزة" عام 1964م هذا الجانب لا يعرفه إلا من التصق به و خاطه بحياته العادية اليومية، حيث كان الغذامي في آخر سنة دراسية له في المعهد العلمي و كان ذا صوت مسموع في جنيات المعهد، فقد كان شاعرا ذا مشاركات شعرية و نشاط ثقافي يعرفه جميع أساتذته الذين جلس أمامهم على مقاعد الدراسة في المعهد.

و الغذامي معلم بكل ما تحمله الكلمة من أبعاد تربوية، فهو يعلم بسيرته و خلقه و تعامله، بمقدار ما يعلم بعلمه، و كل إنسان منصت يجلس مع الغذامي لا يملك إلا أن يرى

[1]– ينظر، موقع من الانترنت www.elkoutoub.com يوم 10 جوان 2020 على الساعة 13:00.

نفسه تلميذا أمام شيخ جليل ممن قرآنا عنهم في كتب السلف لا تجده متعاليا على من أمامه، و لا متباهيا بعلمه و فهمه للأشياء[1]

يقول المتنبي:

تعرف في عينيه حقائقه كأنما بالذكاء مكتمل

و من أعماله:

-الخطيئة و التكفير من البنيوية إلى التشريعية 1985.

-الصوت القديم الجديد الجديد، بحث في الجذور العربية لموسيقي الشعر العربي 1987.

-الموقف من الحداثة 1987 الكتابة ضد الكتابة 1991

-ثقافة الأسئلة مقالات في النقد و النظرية 1992.

-القصيدة و النص المضاد 1994.

-رحلة إلى جمهورية النظرية، مقاربات لقراءة وجه أمريكا الثقافي(1994)

- المشاكلة و الاختلاف قراءة في النظرية النقدية العربية و بحث في الشبيه المختلف1994

-المرأة و اللغة (1996)

-ثقافة الوهم، مقاربات حول المرأة و الجسد و اللغة(1998).

-حكاية سحارة، حكايات و أكاذيب(1999)

-تأنيث القصيدة و القارئ المختلف(1999)

-النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية(2000)

- حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية (2004)، الثقافة التلفزيونية، سقوط الناخبة و بروز الشعبي (2004).

[1]- ينظر، موقع من الانترنت www.elkoutoub.com يوم 10 جوان 2020 على الساعة 10:20

قائمة المصادر و المراجع

أولا: المصادر

1-عبد الله الغذامي، الخطيئة و التفكير، من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1998.

2-عبد الله الغذامي، الكتابة ضد الكتابة، دار الآداب، بيروت، ط1، 1991م.

3-عبد الله الغذامي، المشاكلة و الاختلاف قراءة في النظرية النقدية العربية و بحث في الشبيه المختلف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994.

4-عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي للنشر، المملكة المغربية، الدار البيضاء، ط1، 2001م.

5-عبد الله الغذامي، عبد البنى اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر للنشر، دمشق، د.ط، 2004م.

6-عبد الله الغذامي، ورقة بحثية مقدمة لندوة مهرجان القرين حول مقولات النقد الثقافي.

ثانيا: المراجع

7-بن صالح نوال، النقد الثقافي في الخطاب النقدي المعاصر، قراءة في تلقي مشروع عبد الله الغذامي، مجلة أبحاث اللغة و الآداب الجزائري، العدد.1

8-جسام بقطوس، المدخل إلى المناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدينا الطباعة و النشر، ط1، 2006م.

9-حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2007م.

10-رضا عامر، المناهج النقدية المعاصرة و مشكلاتها(المنهج السيميائي نموذجا) مجلة أقلام ثقافية، أرشيف القلم النقدي الالكتروني.

11-سعد البازغي، و ميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2000م.

12-سعد الدين كليب، النقد التكاملي، مجلة الموقف الأدبي اتجاه الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، .1994

13-سمير خليل، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، دار الجواهري، ط1، لبنان، 2012م.

14-سهيل الحبيب، خطاب النقد الثقافي في الفكر العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2008م.

15-صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2002م.

16-صلاح قنصورة، تمارين في النقد الثقافي، ميرت للنشر و المعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2007م.

17-عبد الرحمن اسماعيل السماعيل، الغذامي الناقد قراءات في مشروع الغذامي النقدي، مؤسسة اليمامة للنشر، الرياض، العدد98،97، ديسمبر 2001م يناير 2002م.

18–عبد السلام المسدي، الأسلوب و الأسلوبية، الدار العربية للكتاب، طرابلس/تونس، 1998م.

19–عبد السلام بلعجال، انزياح النسق الثقافي في الشعر أبي تمام قراءة ثقافية، جامعة العربي بي مهيدي، أم البواقي، الجزائر

20–عبد الله ابراهيم، المطابقة و الاختلاف، بحث في نقد المركزيات الثقافية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 2004م.

21–عبد عزيز حمودة، الخروج من التيه، دراسة في سلطة النصر، سلسلة عام المعرفة 298، الكويت، د.ط، 2003م.

22–محمد الكواز، البلاغة و النقد، المصطلح و النشأة و التجديد، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

23–مرشد الزبيدي، اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م.

24–مصطفى خضر، النقد و الخطاب محاولة قراءة في مراجعة نقدية عربية معاصرة، دراسة من منشورات، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.

25–نادية هناوية سعدون، تمظهرات النقد الثقافي و تمفصلاته، قراءة تطبيقية، تموز للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، 2015م.

26–يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 2004م.

ثالثا: المؤتمرات و الملتقيات

27-تحولات الخطاب النقدي المعاصر، مؤتمر النقد الدولي الحادي عشر 25-2006./07/27

28-عبد الله الغذامي، ورقة بحثية مقدمة لندوة مهرجان القرين حول مقولات النقد الثقافي.

رابعا: الانترنت

29- www.elkoutoub.com

30- www.alquds.co.uk

31- www.alttihad.ae

32- www.marebpress.net

خامسا: الكتب المترجمة

33-ابن بني مالك، مشكلة الثقافة، ترجمة: محمد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، 2000م.

34-أرثر إيزابرجر، النقد الثقافي/تمهيد مبدئي لمفاهيم الرئيسية، ترجمة وفاء إبراهيم.

35-ليتش فينيسنت، النقد الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات، ترجمة محمد يحيى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2000م

الفهرس

خطاب النقد الثقافي عند عبد الله الغذامي

إهداء.....

كلمة شكر.....

مقدمة.....01

مدخل.....06

الفصل الأول: من النقد الأدبي إلى النقد الثقافي

1-مفهوم النقد الأدبي.....13

2-حقل الدراسات الثقافية.....14

3-الأساس النظري للدراسات الثقافية.....15

4-مفهوم النقد الثقافي.....16

5-خصائص النقد الثقافي.....18

6-جماليات التحليل الثقافي.....19

7-الفرق بين النقد الثقافي و النقد الأدبي.....20

8-النقد الأدبي و النقد الثقافي و إمكان التعايش.....28

9-روافد النقد الثقافي.....38

الفصل الثاني: المشروع النقدي عند عبد الله الغذامي

1-عبد الله الغذامي و مرجعية مشروعه الثقافي.....44

2-مرجعية النظري في نقده الثقافي.....49

3- مرجعية الدراسات التطبيقي.....50

4-الوسائل الإجرائية عند عبد الله الغذامي.....52

خاتمة.....62

ملحق.....64

قائمة المصادر و المراجع.....69

فهرس الموضوعات.....73

ملخص:

يعد كتاب النقد الثقافي "قراءة في الأنساق الثقافية العربية" من الكتب النقدية التي أضافت قيمة حقيقية إلى المشهد النقدي العربي و لقد حاولنا من خلال هذا البحث الموسوم خطاب النقد الثقافي عند عبد الله الغذامي، الكشف عن المرجعيات الذاتية عند الناقد كما أبرزنا تحول المسار النقدي من نقد أدبي يركز على الجماليات و الفنيات إلى نقد ثقافي يرصد ما وراء النص و الأنساق المضمرة، ثم تطرقنا إلى أهم الوسائل الإجرائية التي اعتمدها الناقد في مشروعه النقدي.

Résumé:

Le livre de critique culturelle " Reading in the Arab Cultural Systems" est l'un des livres de critiques qui a apporté une réelle valeur ajoutée à la scène critique arabe. À travers cette recherche qui a marqué le discours de la critique culturelle d'Abdullah Al-Ghadhami, nous avons essayé de découvrir les références personnelles du critique, comme nous avons mis en évidence le changement dans le chemin critique de la critique littéraire et qui met l'accent sur l'esthétique et l'art sur une critique culturelle qui surveille au-delà du texte et des formes implicites, puis nous avons abordé les moyens procéduraux les plus importants que le critique «Al-Ghodhami» a adoptés dans son projet de critique.